المكتبة الصغيرة

(٥٣)



قادم من بكين

والإسلام بخير

الدكتور محمد عبده يماني

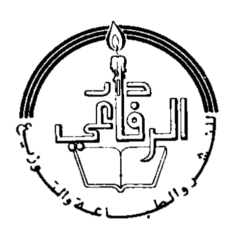


دار الرفاعي

للنشر والطباعة والتوزيع

الرياض

الطبعة الأولى
١٤١٠هـ - ١٩٩٠م



منشورات دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع
ص. ب: ١٥٩٠ - الرياض ١١٤٤١ - تليفون: ٤٧٨٨٨٣٣
تلكس: ٤٠١٣٦٧ (الفرات) - فاكسميلي: ٤٧٩٤٣٢١

قادم من بكين

والإسلام بخير

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهـــدَاء

إلى الأشقاء في الصين..

إلى الذين صبروا وصابروا..

وجاهدوا وعضوا على عقيدتهم بالنواجذ...

إلى الذين حافظوا على كلمة الله..

فحفظهم وأيدهم حتى بقيت كلمة لا إلّه إلا الله محمد رسول الله حية في نفوس الأجيال تتناقلها جيلاً بعد جيل...

﴿ ولينصرن الله من ينصره ﴾

﴿ يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ﴾.

صدق الله العظيم



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذي خلقنا من تراب، وجعلنا في أحسن تقويم وأكرمنا بخاتم الأنبياء والمرسلين، وجعلنا شعوباً وقبائل تختلف ألسنتنا وألواننا فجعل الله في ذلك آيات للعالمين: ﴿ ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم، إن في ذلك لآيات للعالمين ﴾، ثم أمرنا بأن نعتصم بحبل الله جميعاً ولا نتفرق، وتتآلف قلوبنا على محبة الله ورسوله.

والصلاة والسلام على رسول الله، هادي البشرية إلى طريق الحق والخير والنماء، الذي أدى الأمانة وبلغ الرسالة، ودعا إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، فهو القدوة لكل داعية، والمثل الذي يحتذى به لما تحمله من أذى في سبيل نشر دعوة الحق والقوة والحرية والسلام، جزاه الله عنا أفضل ما جزى أحداً من النبيين والمرسلين، والحمد لله رب العالمين. وبعـــد:

ففي الطائرة ولسفرة طويلة إلى الصين ـ بلد ما يسمى بالجنس الأصفر ـ كانت تطوف بخاطري أفكار تترى على ذهني

عن الإسلام، وحال المسلمين هناك. تلك البلاد التي قرأنا عنها ونحن صغار في رحلة ابن بطوطة، ولقائه بسلطانها العظيم، وما درسناه عن حكمة مفكريها، وما اشتملت عليه من مكارم الأخلاق ومحاسن السلوك، وعن شهرتها بالسور العظيم الذي يعد إحدى عجائب الدنيا السبع.

وقد استوقفني كثيراً القول المأثور: (اطلبوا العلم ولو في الصين).

لماذا الصين التي نطلب فيها العلم؟.
ألبعدها عن ديار الإسلام وقت أن صدر ذلك القول؟
أم أن المسلمين عرفوا شيئاً عنها في فجر الإسلام؟
أم لحضارتها العظيمة الضاربة في أعماق التاريخ؟
أم لغير ذلك من الأسباب مما لا نعرفه؟.

تلك ـ وغيرها ـ أسئلة جالت بخاطري قبل وأثناء رحلتي إلى الصين، وعندما وجدت الإجابة على بعضها عكفت على تدوينها، ورأيت ألا أضن على القارىء بها، فوضعتها في هذا الكتيّب الصغير الذي أوضح فيه حال (صين اليوم) بالمقارنة مع (صين الأمس) وكيف دخل الإسلام إلى الصين وتاريخ الإسلام فيها، وحاضر المسلمين بها، ومدى المعاناة التي يستشعرها المسلمون الصينيون، والانفتاح الجديد المتبادل بيننا وبين تلك

البلاد، ثم أقدم في النهاية رؤيتي الخاصة فيما ينبغي لنا أن نعمله لنشر دعوة الإسلام في ربوع الصين.

أسأل الله تبارك وتعالى أن يوفقنا جميعاً إلى ما فيه خير الإسلام والمسلمين، وأن يعينني والقراء على أن يقوم كل منا بواجبه نحو نشر دعوة الإسلام والعمل على النهوض بالمسلمين في كل مكان، وحتى تكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

* * *

الفَصْل الأوَّل

صين الأمس ...

وصين اليَوْم ...



بداية الرحلة

شعرت بفرحة كبيرة وأنا أدخل بكين.. أو بيجين كما يسميها الصينيون.. ولقينا مجموعة كبيرة من إخواننا أهالي الصين الشعبية من المسلمين.. وكانت السعادة بادية على وجوههم.. وأخذوا يعانقوننا واحداً واحداً ويضموننا إلى صدورهم، ويمسحون بأيديهم علينا، وكأنهم يتحسسوننا. ولم أستطع أن أغالب قطرات من الدمع اغرورقت بها عيناي ولمحتها في عيون الزملاء. وحانت مني التفاتة نحو معالي الأخ الدكتور عبد الله عمر نصيف الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة فرأيته غارقاً مثلنا في أحضان اللقاء الأخوي حقاً. وتذكرت كيف كان الناس في البلاد الإسلامية يتلقون أهالي مكة المكرمة ـ وخاصة المطوفين ـ بالفرحة والترحاب لأنهم من مكة المكرمة.. لأنهم جيران البيت، ولأنهم من عشيرة وجيرة رسول الله ﷺ. وأخذنا نتجول معهم في أرجاء بكين.. ونتحدث معهم عن الإسلام والمسلمين.

وكانوا يتحدثون معنا في حرية، وفي غير ما حرج، فقد اتسمت فترة الحكم الحالية بالمعقولية وبالتيسير على الناس، وأعطت للحرية الدينية سبيلاً على أساس عدم التدخل في الشؤون السياسية للبلاد، وهو أمر حسن وخير من ذي قبل، حيث تنفس المسلمون خاصة بعد أن كانت تهدم مساجدهم وتغلق مدارسهم، ويجبرون في كثير من الأحيان على ترك شعائر الدين وأكل لحم الخنزير، وتعليق صورة ماو، وعدم طبع القرآن واستعمال المساجد لنشر المذهب الشيوعي.

وتعتبر الصين أحد أكبر الدول في العالم من حيث المساحة إذ هي الثالثة بعد الاتحاد السوفيتي وكندا. كما أنها أكبر دول العالم من حيث عدد السكان الذين يربو عددهم على مليار ومائتي مليون نسمة. وهي تضم قوميات متباينة يبلغ عددها ٥٦ قومية، أكثرها عدداً هي قومية (هان) التي يبلغ عدد أفرادها نحواً من ٩٢٦ مليون نسمة.

والصين من أقدم دول العالم حضارة، إذ يعاصر تاريخها المعروف تاريخ مصر القديمة، وهي مهد الثقافات والحكمة.

ومن أشهر حكماء الصين «كونفوشيوس» وهو صاحب رسالة أخلاقية لا صلة لها بالدين، ولا عجب أن أضفى الصينيون على شخصيته الأساطير والأقاصيص، منذ مولده في عام ٥٥١

قبل الميلاد. ومعنى كلمة «كونفوشيوس» بالصينية هي «الأستاذ كون» وقد كان له تأثير كبير على مجريات الأمور في الصين التي كانت مقسمة في عصره إلى ممالك صغيرة يتحكم فيها الإقطاعيون تحت سيطرة شكلية من أباطرة أسرة «تشو» التي حكمت الصين في الفترة الواقعة بين القرن الحادي عشر قبل الميلاد وعام ٢٤٩ قبل الميلاد[١].

ولقد كان كونفوشيوس مؤرخاً، كرس نفسه تماماً للبحث التاريخي. وكان يقول عن نفسه إنه ناقل أكثر من كونه مبدعاً. وكان لاطلاعه على كتاب التاريخ المشهور الذي سجلت فيه كافة البلاغات والتوجيهات والتصريحات والخطب والتقارير الشفوية التي صدرت عن جميع حكام الصين إلى ما قبل عام ٢٣٥٧ قبل الميلاد، كان اطلاعه على هذا الكتاب باعثاً لآرائه الحكيمة ومن بينها مبادئه الخلقية.

بيد أنه ما لبثت البوذية أن تسللت إلى الصين في القرن الأول الميلادي، ونظراً لخواء أفئدة الناس من التدين، انتشرت تلك البوذية بطوائفها الثلاثة في كافة أرجاء الصين، وبلغت قوتها في عام ٤٢٠ ميلادية. وكان الحكام يساعدون البوذيين

---

(١) فؤاد شبل: حكمة الصين ـ دار المعارف بمصر، صفحة ٦٥.

ويسترضونهم ببناء المعابد وترجمة الكتب البوذية وحفر الكهوف الحجرية، إلى أن جاء عام ٩٠٧ ميلادية، حيث اندمجت البوذية بالكونفوشية، وتعمقت جذورها في المجتمع الصيني ومن ثم أثرت أفكارها في فلسفته وأخلاقه وآدابه وفنونه.

وما كان لبلد عريق كالصين أن يظل أسير فكر - في جوهره - دخيل عليه، مهما تسامى وجدانياً وثقافياً. لذلك فإنه ما لبث أن راح يطوي البوذية ويخضعها لمفهومه الحضاري. وبهذا اضطرها أن تعدل من مبادئها لتتكيف مع العقلية الصينية. وتمشياً مع سنة التطور استرجعت الصين حكمتها القديمة، ولكن في أسلوب جديد يتفق مع مستحدثات التاريخ.

وظلت الصين - أمداً طويلاً - بمعزل عن العالم باستثناء اتصالها بالمناطق المجاورة التي سلمت بسموها الفكري طواعية. غير أنه مع بداية القرن السادس عشر الميلادي، أخذت الوفود الأوربية تطرق أبواب الصين طلباً للتبادل التجاري، ثم نشبت حرب الأفيون بين الصين وانجلترا في الفترة من ١٨٣٩ إلى ١٨٤٢ ميلادية، وهزمت فيها الصين ونال الغربيون من سيادتها، ولولا المنافسات الدولية لوقعت الصين في براثن الاحتلال مثلما حدث في الهند وبورما والملايو ومعظم إفريقية والشرق الأوسط.

بيد أن الأوربيين استحوذوا على تجارة الصين الخارجية وسيطروا على خيراتها. وعلى أثر ذلك بدأت صحوة تهب في الآفاق، وسعى الصينيون إلى تحدي الغرب، واختلفت الآراء في ذلك. ففريق نادى بأن أنماط الحياة الصينية المأثورة، أجل وأسمى من أية مذاهب فكرية أخرى، وأن ما حل بالصين كان سببه انصراف الصينيين عن المثل العليا المأثورة عن أسلافهم، وأن العودة إلى سبل الأسلاف هي الطريق إلى استعادة المجد الغابر. وفريق آخر قال بأن الثقافة الصينية تكفل الأساس المتين الذي يمكن أن تشيد عليه البلاد تقدمها ونهضتها، وأنه ينبغي تعديل هذا الأساس لمواجهة الأوضاع المستحدثة في العالم، وبخاصة الأساليب التقنية الحديثة التي لا بد من اقتباسها لتحقيق نهضة الصين. كذلك فإن فريقاً ثالثاً كان أكثر تطرفاً، إذ نادى بأن نمط التفكير الصيني لا يصلح إطلاقاً لتحديات العصر، وأنه لا بد من إحداث ثورة عميقة الجذور في الفكر والتقاليد والمعتقدات. وبتغلب الفريق الأخير، أقبل الصينيون على ترجمة المؤلفات العلمية الغربية، وأوفدوا الطلاب إلى الجامعات الغربية، وبذلت محاولات للنهوض بالجيش على النسق الغربي، وشيدت المصانع ودور بناء السفن. ووضع المفكرون في أذهانهم أن اليابان قد حققت إنجازات عظيمة

بسبب اتصالها بالغرب، ومع ذلك رأوا أنه لا بد لتحقيق التقدم والازدهار، من التخلي عن أنماط الحضارة الأصلية وتعديل النظم السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وذلك أمر يشبه المستحيل. لهذا فقد كان التطور في الصين بطيئاً، بيد أنه يقوم على الفضائل التي نادى بها كونفوشيوس.

وفي عام ١٩١١ قامت ثورة اقتلعت النظام الملكي الصيني من أساسه، ثم أقامت الجمهورية عام ١٩١٢ على أسس معقدة ومبهمة النتائج، وبغير اتجاه فكري محدد. فانبعثت عبارة «القومية والجمهورية» من بين تضاعيف التيارات الفكرية المتصارعة والتي صاحبت الثورة التي قادها «صن يات صن».

وبوفاة «صن يات صن» عام ١٩٢٧، اندلعت الحروب الأهلية في أنحاء البلاد، ثم نشبت الحرب بين الصين واليابان واستمرت حتى عام ١٩٤٥.

لقد فشلت عملية الاقتباس الأعمى من الغرب، ولم يعصم الصين من العدوان الأجنبي عليها إلا تراثها وحصيلة تطورها الفكري عبر ثلاثة آلاف سنة متصلة الحلقات.

وبإقصاء تشن كاي تشيك ـ خليفة صن يات صن ـ عام ١٩٤٩ وقعت البلاد في براثن الحكم الشيوعي الذي اتسم بالتطرف في كل شيء وألغى الأديان والعقائد وجعل المادة فوق كل شيء، وصار العمل مقدساً ولا شيء غيره.

ذلك هو حال الصين في الماضي، وإلى الأمس القريب.

* * *

صين اليوم...

تعمل حكومة الصين الشعبية الحالية بخطوات بطيئة نوعاً على إزالة آثار التطرف التخريبي الذي ورثته عن ما عرف بالثورة الثقافية في أواخر عهد ماوتسي تونغ وعصابة الأربعة. وأبرز هذه الآثار التخلف التكنولوجي والتدهور الاقتصادي الذي فرض على سكان الصين الشيوعية مقارنة بما حققته الشعوب المجاورة وبخطوات حثيثة من تقدم تكنولوجي واقتصادي.

وتتميز الفترة الحالية من حكم الصين ـ واعتباراً من عام ١٩٧٨ بالانفتاح الاقتصادي النسبي والاتجاه نحو تحرير بعض جوانب الاقتصاد من القيود الاشتراكية التقليدية لسيطرة التخطيط والتنفيد المركزي على قطاعات ومرافق الإنتاج.

فبالإضافة إلى الإصلاحات الزراعية، بدأت ملامح سياسة إعادة تنظيم هيكل الاقتصاد بشكل عام من خلال الأسس

التالية، والتي أكدتها الخطة الخمسية السادسة ١٩٨٦ ـ ١٩٩٠ م:

أ ـ إدارة مؤسسات الإنتاج على مبدأ الربح والخسارة، والمحاسبة على النتائج وعلى أساس تخصيص رأسمال محدد لوحدة الإنتاج.

ب ـ تخفيف الرقابة المباشرة والتدخل في الإدارة من قبل الأجهزة الحكومية المركزية وكوادر الحزب، والعمل على تشجيع الإصلاحات الإدارية.

جـ ـ اعتماد مبدأ الأجر على قدر الإنتاج بالنسبة لأجور ومكافآت العاملين لحفز الإنتاج.

د ـ التقليل من مبدأ دعم الأسعار والاعتماد التدريجي على مبادىء العرض والطلب.

هـ ـ تشجيع اقتصاديات التعاونيات وتشجيع الملكيات الفردية في الإنتاج وبخاصة في الأرياف.

إضافة إلى ذلك وموازياً له سعت الحكومة إلى إعطاء المزيد من حرية اتخاذ القرارات اللامركزية على مستوى الأقاليم فيما يتعلق بالتخطيط والتنفيذ، وذلك في إطار سياستها الاقتصادية الخارجية والتي تتركز على المحاور التالية:

أ ـ تشجيع الاستثمار الأجنبي المباشر وبخاصة في المناطق

الحرة، وذلك بتقديم تسهيلات عديدة للمستثمرين. وتسعى الحكومة حالياً إلى إعادة النظر في مجمل التشريعات المتعلقة بذلك.

ب ـ العمل على دعم عناصر الإنتاج المحلية المختلفة بكل الإمكانات لتشجيع الصناعة التصديرية.

جـ ـ منح الأقاليم ـ وخاصة الذاتية والأقاليم تحت التطوير ـ حرية نسبية ومرونة في التخطيط الاقتصادي وإدارة المرافق وإدارة شؤونها المالية مع البنوك المحلية والاتصال مع الهيئات الخارجية لغايات الاستيراد والتصدير.

د ـ تشجيع اقتصاديات التعاونيات المحلية واقتصاديات البلديات والأقاليم بالابتعاد التدريجي عن الاقتصاد المركزي، والمرونة في السماح بالملكيات الفردية وخاصة في الأرياف وأقاليم الحكم الذاتي، والاتجاه التدريجي نحو اقتصاديات السوق.

من جهة ثانية تتسم سياسة الانفتاح الحالية في الصين بالإيجابية فيما يتعلق بالأقليات ومنها الأقلية المسلمة. وبدأت السياسة الاقتصادية الخارجية تتمحور حول مبدأ اعتبار هذه الأقليات المختلفة: الأذرع التي تمتد الصين من خلالها لبناء علاقاتها الاقتصادية مع العالم الخارجي. من جهة أخرى من

الطبيعي أن تنظر الأقلية المسلمة إلى العالم الإسلامي كامتداد لأصول وروابط تاريخية وجغرافية وحالياً اقتصادية، وبذلك تتلاقى المصالح الاقتصادية من خلال الأهداف المشتركة.

ومنذ انعقاد الجمعية الثالثة لمؤتمر الحزب الشيوعي الحادي عشر في ديسمبر ١٩٧٨ المكرسة لإزالة آثار الثورة الثقافية تبدو أكبر دولة آسيوية وكأنها تتقدم نحو انفتاح نسبي إذ تحاول حكومة بكين في نطاق معالجتها للوضع المتدهـور تخفيض الضغوط الاقتصادية بنقل التكنولوجيا المتطورة من الغرب وإغراء الرأسمال الأجنبي للاستثمار في هذه القارة الغنية وإفساح المجال أمام التجارة الخارجية، كل ذلك سعياً من حكومة بكين الحالية لاستعادة ثقة الشعب بها.

ولئن كـانت حكومـة بكين مـا زالت تتحدث بـاللكنة الماركسية، فهي قد قطعت أطواراً عدة على طريق تناسي النظريات الماركسية اللينينية نفسها، فأفسحت المجال لفكرة المبادرة الفردية أن تعود إلى الظهور وممارسة دورها لإعادة بناء صين قوية، مقابل نسبة ضريبية تؤدى للحكومة. فاستقطعت أراض زراعيـة للأفراد مقابل نسبة ٣٠٪ من الإنتاج، وخيرت أصحاب هذه الأراضي ببيع إنتاج أراضيهم للحكومة أو إلى الأفراد، وأطلقت حرية العمل الحرفي للجميع على النحو

الفردي بنسبة ضرائبية لا تتجاوز ربع الدخل، بالإضافة إلى حرية التجارة، وإن كان ذلك يتم بالتدريج وفي حدود معينة، إذ أن الملكيات الشخصية لا يزال نطاقها محدوداً، فكل شيء تقريباً حتى الآن ملك للدولة.

ومما يجدر ذكره أن الصين تنهج نهجاً جديداً في استخدام التقنية الحديثة في كافة المجالات. ففي مجال الزراعة مثلاً، يواصل الصينيون رعايتهم للأشجار والنباتات، ويقاومون زحف الصحراء، ويحولون الرمال إلى مزارع ليستمروا في توفير الغذاء لعشرين في المائة من سكان العالم الذين يعيشون في الصين. ومن أنجح أعمالهم الأخيرة في منغوليا بشمال الصين، زراعة ٤٥٠ ألف فدان بالأشجار والحشائش حتى أصبحت تغطي ٦٠٪ من مساحة منغوليا، وتناقصت مساحة الأرض الرملية والقاحلة من ٣٠٠ ألف فدان إلى أقل من ٨٠ ألف فدان. وفي نفس الوقت تم زراعة مساحة طولها ٧ آلاف كيلومتر تمتد من شمال شرق الصين إلى مقاطعة زينانج، وهي مساحة تغطي ٢٥٪ من مساحة الصين. ويطلقون اليوم على هذا السور: «سور الصين الأعظم الأخضر». ولأن الصحراء تغطي مساحة قدرها ١٨ مليون فدان، والرمال تهدد ١٢ مليون فداناً من المراعي والمزارع وقضت على النهر الثاني في البلاد بعد

النهر الأصفر فقد وضعت الصين خطة لزراعة ٩ ملايين من الأفدنة بالأشجار والأعشاب، وبهذا تتحول معظم صحارى الصين إلى أرض خضراء[١].

على المنوال نفسه تسوس حكومة بكين نهجاً جديداً على صعيد الأديان، فمنحت الإنسان الصيني حرية ممارسة شعائر دينه على أن لا تتعارض وسياسة الدولة. ومن هنا أعاد المسلمون في الصين ترميم مساجدهم وإصلاحها بعد إصابتها بأضرار الثورة الثقافية.

ومن المأمول أن تكون هذه السياسة الجديدة عوناً على تجميع القوى الوطنية الصينية وتعميق ولائها للحكومة الراغبة في انتشال الصين من تخلفها، ولعل منح المسلمين حرية العبادة وإقامة الشعائر يشكل عاملاً من عوامل تطوير علاقات الصين مع الدول الإسلامية كافة، التي باتت سوقاً مهماً للمنتجات الصينية.

والحق أن من يتجول في بكين اليوم، وفيما حولها، يحس بارتياح الناس بعد شدة، واستقرارهم بعد قلق طويل واضطهاد لا إنساني كبير. وقد لاحظنا جميعاً أن الحياة هناك لا تخلو من

---

(١) جريدة الأهرام القاهرية في ١٩٨٨/٤/٢٧ صفحة ١٤.

الصرامة والانضباط. والناس تعمل بطريقة جماعية، وبالرغم من أن الدولة تشرف وما زالت تدير كل شيء، فإن المجتمع الصيني يعيش حياة خليطة بين حضارتهم الصينية السابقة، والمؤثرات الأيديولوجية التي جدت عليهم. فالناس يعيشون حياة اجتماعية مترابطة إلى حد ما، وهناك عوائل مترابطة، وهناك زواج وطلاق، وأطفال حددتهم الدولة بطفل واحد أو طفلة لكل عائلة، وهناك اهتمام بالأب والأم والأخت والأخ، ولكن في حدود ضيقة، لأن الظروف الاقتصادية صعبة جداً، ولا تسمح بممارسة أي نوع من الكرم أو المجاملة المالية، ولهذا فهناك علاقات إنسانية في حدود استطاعتهم. ولكن الشاب يختار فتاته وينشأ بينهم حب وعلاقة، ونادراً ما تسمح الفتاة أو أهلها بأي ممارسة خاطئة قبل الزواج. فهناك التزام إذاً، وهناك عادات وتقاليد، قست عليها عوامل التعرية الأيديولوجية، وربما مزقت بعضها. ولكن الرواسب هناك - وقد جاءت الفترة السابقة لماوتسي تونغ بحياة صارمة وقاسية - أفقدت الناس الكثير من التوازن وحاولت أن تصبغهم بصبغة أيديولوجية واحدة قبلوها أم لم يقبلوها. ومن هنا كانت فترة شقاء وقسوة. أما الآن فإن اتجاهاً واضحاً نحو احترام إنسانية المواطن تبدو واضحة، وتبشر بمستقبل مشرق لمواطني الصين من أهل الديانات خاصة.

تحوّلات اقتصاديّة جذريّة[1]

إن من ينظر بعمق للتحولات الكثيرة التي تجري في الصين، يمكنه أن يلاحظ التغييرات التي تمت في السنوات العشر الأخيرة أي منذ مطلع الثمانينات.

فقد بدأت الصين بقيادة دنج زياو بنج برنامجاً كبيراً للإصلاح الاقتصادي كما أخذت في الابتعاد عن الفكر الشيوعي شيئاً فشيئاً وبدأت في تطبيق سياسة الانفتاح على الدول الأخرى.

وبالرغم من قصر هذه المدة لبلد بهذا الحجم الهائل من السكان فقد أصبحت الصين في الآونة الأخيرة بلداً عملياً يتعايش فيها التخطيط الماركسي مع الحرية الرأسمالية ويمكن

---

(١) بتصرف من مجلة Business Week عدد ٩ مايو ١٩٨٨ ـ الصفحات ١٨ ـ ٢١.

لمن يزور الصين أن يشاهد ذلك التغيير في المصانع المشتركة والمباني المرتفعة التي يجري إنشاؤها، وفي الأسواق والمتاجر الخاصة المزدحمة في منطقة كيانمن، بل حتى في المناطق الريفية، حيث يقوم الفلاحون بالادخار من دخلهم لشراء جهاز تلفزيون يتم تجميعه في الصين.

وبدأت الصين بالسماح لبعض مؤسسات الدولة التجارية بإصدار أسهم، كما أنها سوف تقوم بتجربة طريقة أولية للأسهم والسندات في سبع مدن ابتداء من شهر مايو ١٩٨٨، كما أصبح من المسموح به للشركات الخاصة أن تستخدم مئات العمال والموظفين وأيضاً الاستغناء عن خدماتهم متى رأت ذلك.

ولقد صدر قانون جديد خاص بالشركات التي تعلن إفلاسها، كما أن هنالك قليلاً من المواطنين المختارين يستخدمون بطاقات الائتمان.

وعلى الرغم من تصريحات المسؤولين الصينيين بأنهم لا يريدون تغيير لون الصين الاشتراكي، إلا أنهم مصممون على تجربة أي شيء يؤدي إلى الإسراع بالتحديث. والفلسفة السائدة هي: «إذا أدت المطلوب بنجاح سمها اشتراكية» وفي ظل هذا الاتجاه تتوارى العقيدة الماركسية عن الأضواء، ويعبر عن ذلك أصدق تعبير قول دينج المأثور: «لا يهم أن تكون

القطة سوداء أو بيضاء طالما أنها تقوم باصطياد الفئران».

والإحصاءات الاقتصادية تؤكد على جدوى السير في هذا الطريق، ففي عام ١٩٨٧ ازداد معدل النمو الاقتصادي بنسبة ٩,٤٪ مقارنة بـ ٧,٨٪ في عام ١٩٨٦، وازداد معدل الإنتاج الصناعي بدرجة أكبر بلغت ١٦,٥٪ وتسير الخطى بنفس السرعة إن لم تكن أكثر هذا العام.

وتستهدف خطة الصين الخمسية الحالية تحقيق معدل في النمو السنوي مقداره ٧,٥٪ وإن كان الكثيرون يتوقعون معدل نمو لا يقل عن ٩٪ عام ١٩٨٨.

ولما كان الطلب الاستهلاكي يتجاوز كثيراً مقدرة المصانع الصينية، فقد أخذ التضخم في الازدياد حيث بلغ في عام ١٩٨٧ م ما مقداره ٧٪ وبلغ في الربع الأول من عام ١٩٨٨ حوالي ١١٪ في المدن الصينية، ولم يتعرض له المسؤولون الصينيون خوفاً من أن يصاب النمو بالاختناق بالرغم من القلق الذي ينتابهم تجاه هذه المعدلات، وقد آثروا معالجة نتائجه.

ويقول تونج زينجيل نائب رئيس البنك الشعبي الصيني: «إن بعض التضخم لا يمكن تجنبه، طالما أن الاقتصاد يمر بمرحلة انتقال من أسعار تحددها الإدارة إلى أسعار يحددها السوق» أي يخضع لسياسة العرض والطلب.

وتقرر الحكومة أن حوالي ٢٠٪ من سكان المدن قد انخفضت مستويات معيشتهم بسبب التضخم، فالسياسة الجديدة التي تطبقها الدولة حالياً بالنسبة للنقص في بعض المواد الغذائية، وهي السماح للأسعار بالارتفاع حيث يشكل ذلك حافزاً لمزيد من الإنتاج. يوضح المستر تيان ذلك في قوله: «إذا قمنا باتخاذ الإجراءات الضرورية فإن ذلك من شأنه أن يعزز ثقة الشعب في الإصلاح».

وبينما القليل من الصينيين يودون العودة ثانية إلى الأيام السابقة، نجد أن الكثيرين منهم يشعرون بأنهم قد تخلصوا من الأوهام التي كانت مترسبة في أذهانهم عن سرعة الإصلاح.. وما يشاهدونه الآن من أفلام سينمائية أجنبية وأخبار عالمية جعلهم يعتقدون أنهم ليسوا أفضل حالاً من العمال «المستقلين» في العالم الرأسمالي.

أما الاختلاف على مستوى القادة والزعماء تجاه التغييرات الاقتصادية، فهو فقط على درجة وسرعة التغيير. ولكنهم يشتركون جميعاً في نفس الرؤية والأهداف الكلية، وذلك على النقيض مما يحدث في الكرملين بين جورباتشوف ومنافسيه.

ولذلك توجد مناقشة مفتوحة في الصين عن حجم وسرعة الإصلاح، وبخاصة فيما يتعلق بسياسة التنمية الحالية التي

تبناها رئيس الحزب الشيوعي زهاو زيانج لتشجيع الصناعات التصديرية الموجهة ذات العمالة الرخيصة على طول الساحل الصيني.

ونجد أن هناك مقالات اقتصادية تعتبر أن هذه السياسة لا تشجع الصناعات ذات التقنية العالية التي بدأت منذ عهد قريب، وأنها ستحدث تبايناً تنموياً بين الساحل والمناطق الداخلية، ونلاحظ أن للمستشرقين الأجانب جزءاً كبيراً في نتائج هذه المناقشات.

فالغربيون واليابانيون يرغبون في أن تكون لهم حصة في السوق الصيني أسوة بزملائهم في هونج كونج، ولكن نقص العملات الصعبة لدى بكين جعلها تشجع الشركات الأجنبية على نقل تقنيتها إلى الصين أو الاستثمار في الصين لقاء منحها حصة من السوق.

وتقرر وزارة التجارة الصينية أن ٨٠٪ من المشروعات المشتركة مربحة رغم تحفظ معظم الأمريكيين على هذه النسبة. ولكنهم يعترفون بضخامة السوق حتى بالنسبة للسلع الثانوية التي تصنع حالياً في الصين. بيد أن الأرباح التي يتم تحقيقها أقل مما كانوا يحلمون به، مما جعلهم يحددون مخاطرهم بعدة طرق بل ورفضت بعض الشركات فكرة الاستثمار في الصين.

لكل هذا فإن قادة الصين يبذلون الجهود من أجل تحسين الظروف أمام الاستثمارات الخارجية، وبخاصة في مجال تطوير البنية الأساسية.

وفي خلال السنوات العشر القادمة وحتى عام ٢٠٠٠ م، ستظل الصين بلداً نامياً، غير أن الصناعة سوف تزدهر على طول الساحل الصيني، وسيرتفع دخل الفرد عما هو عليه الآن، وسوف تصدر كثير من المصانع التي تمتلكها الدولة أسهماً للجمهور، وسينمو القطاع الخاص ليكون أكثر بروزاً للعيان، أما الشيء الهام فهو أن الصين خلال الفترة القادمة لن تكون دولة شيوعية خالصة.

* * *

رؤية خاصة

من المعروف أن غالبية المسلمين تتركز حالياً في المناطق الشمالية والغربية من الصين (شينانغ وننغشيا وكانسوا ومنقوليا)، وهي مناطق يغلب عليها طابع الزراعة والاقتصاد الزراعي، وإن كانت غنية بالموارد الطبيعية والمعادن، إضافة إلى مجموعات حرفية وتجارية هامة تتركز في شنغهاي وبكين وكانتون.

وقد بدأت هذه الجماعات ـ في ظل السياسات الحالية ـ بتنظيم نفسها في مؤسسات اقتصادية صغيرة كأعمال التجارة والاستثمار المحلي، أو تأسيس شركات تجارية للاستيراد والتصدير، خاصة مع العالم الإسلامي.

أما فيما يتعلق بالمقاطعتين الأكثر أهمية، وهما إقليم ننغشيا (وعاصمته ينشوان) للحكم الذاتي، وإقليم شنيانج (وعاصمته أورمجي)، فتختلف الأبعاد قليلاً حيث إن مستوى النشاط

الاقتصاد تعدى الحدود الفردية وأصبح توجه المسؤولين في هاتين المنطقتين هو الاتصال مع العالم الإسلامي لتأسيس شركات إنتاج مشتركة وخاصة في الصناعات التصديرية. ولكل من هاتين المنطقتين شركة استثمار محلية تحظى بعنايةالدولة وتمثل فيها أنشطة المقاطعة الاقتصادية جميعها.

كذلك فإنه يمكن فتح قنوات للتعاون الاقتصادي مع مسلمي الصين، سواء على مستوى الشركات الفردية، أو على مستوى الأقاليم. مستفيدين من هذا الانفتاح الاقتصادي النسبي، ومن رغبة الصين لتوطيد علاقاتها الاقتصادية مع العالم الإسلامي كسوق للتصدير الصيني، وخاصة في منطقة الخليج العربي.

فبالنسبة للأقاليم التي يتواجد فيها المسلمون بشكل كبير، يمكن إنشاء المشاريع الاستثمارية المشتركة في قطاعات الزراعة، والصناعة الزراعية، والصناعات التحويلية، تنمية لاقتصاديات هذه الأقاليم وتشجيعاً لاتصالها بالعالم الإسلامي في حركة التبادل التجاري، وتشجيع التبادل التجاري والاستثمار سيؤدي بالتأكيد إلى اتصالات أوثق بالنواحي الثقافية.

وإن تحسين الوضع الاقتصادي على مستوى الأقاليم التي يتواجد فيها عدد كبير من المسلمين، سينعكس إيجابياً على

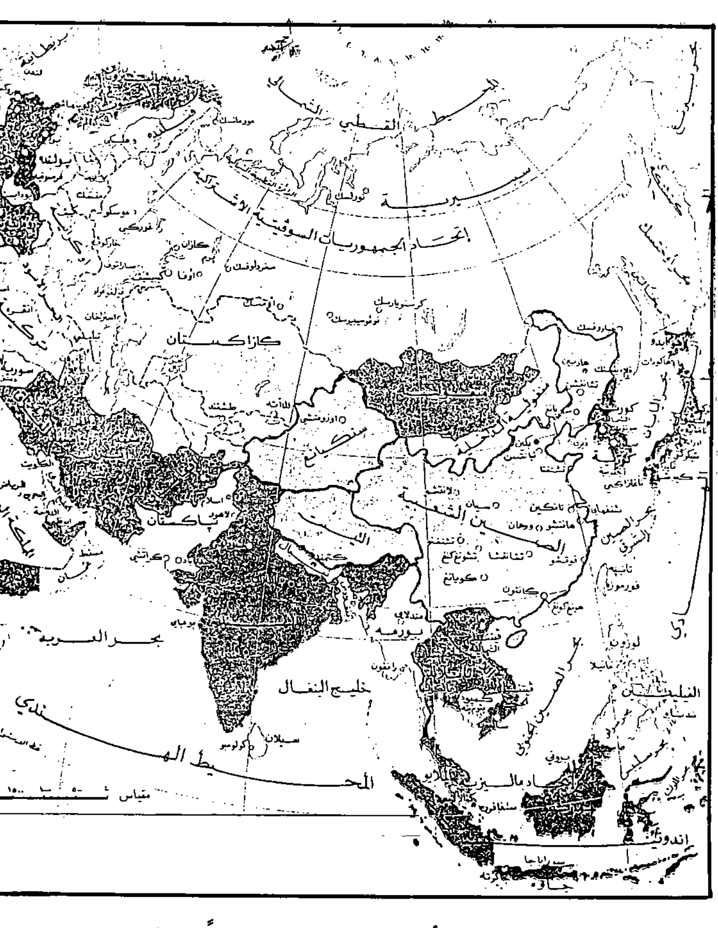
مستوى دخل الفرد المسلم ويرفع بالتالي مستواه الاقتصادي والاجتماعي.

أيضاً يمكن تنمية العلاقات التجارية والاستثمارية مع المؤسسات والشركات الإسلامية التي تؤسس حالياً في العديد من المناطق وخاصة كانتون وشنغهاي وبكين وشياو وغيرها.

إضافة إلى ذلك يمكن عمل خطة لاستجلاب أعداد من العمالة الصينية المسلمة المدربة، للعمل في المشاريع المختلفة في الأقطار الإسلامية، رفعاً لمستوى دخل الفرد الصيني المسلم والاستفادة من المهارات الموجودة.

كذلك تسعى بعض المؤسسات الإسلامية الصينية إلى بدء استثمارات في قطاع السياحة، فيمكن بالتالي تشجيع السياحة من الدول الإسلامية إلى الصين بالتعامل مع هذه المؤسسات وخاصة إلى مناطق جنوب الصين.

علاوة على ذلك يمكن التعاون مع بعض هذه المؤسسات والشركات الإسلامية الصينية في مجال استقدام التكنولوجيا المناسبة لاحتياجات الدول الإسلامية، خاصة في مجالات الطب العلاجي والمقاولات (وخاصة الطرق) ومقاومة التصحر وغيرها، وهي ملائمة إلى حد كبير لاحتياجات العالم الثالث ومنها معظم الدول الإسلامية.



الصين : أكبر دول العالم تعداداً للسكان

الفصل الثاني

تاريخ الإسلام في الصين

يذكر بعض الباحثين كما يقول الأستاذ إبراهيم الدسوقي في بحثه عن الصين أنه كانت هناك علاقات ومعاملات بين العرب والصين قبل الإسلام، وكانت هناك أيضاً علاقات تجارية مع آسيا الوسطى والغربية قبل الميلاد وفي القرون الأولى للميلاد وأشار إلى أن التاريخ الصيني يذكر أنه في عام ١٣٨ قبل الميلاد أصدر الامبراطور ووردي من أسرة حان «جانج كيانج» أمراً بذهاب سفير إلى غرب آسيا فذهب إلى فرغاطة ثم إلى الهند. وكانت الخطوط التجارية البحرية ممتدة عبر هذه المناطق إلى الصين قبل الإسلام وبعده، وكان الاتصال عن طريق البر أيضاً.

ويعتقد بعض الأهالي من المسلمين في الصين أن الإسلام قد دخل في عهد رسول الله ﷺ. ويستشهدون على ذلك بوجود جامع قديم يرجع تاريخ عمارته إلى سنة ٦٢٧ م أي قبل وفاة رسول الله ﷺ بخمس سنوات. وهذا عندهم دليل على ما يتردد من أن أحد الصحابة ويسمونه «ابن أبي وقاص» قد وفد إلى الصين في عهد الرسول ﷺ ونشر الإسلام هناك، كما

يستنتج بعض الصينيون من الأثر المروي عن الرسول ﷺ: «اطلبوا العلم ولو في الصين» بأن هذه المنطقة كانت معروفة لرسول الله ﷺ. والحقيقة أني لم أقع على اسم صحابي بهذا الاسم غير «سعد ابن أبي وقاص» رضي الله عنه وقد توفي بالعقيق ودفن في البقيع. ولم يعقد رسول الله ﷺ ألوية لأحد غير سعد حيث قال له يوم أحد: «ارم سعد فداك أبي وأمي» والمعارك التي اشترك فيها معروفة، والبعثات محدودة وليس فيها الصين. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى لم تذكر الصين ضمن بعثات الرسول ﷺ ولا ضمن الوفود التي أوفدها ومع ذلك فهناك ضريح يحمل اسم ابن وقاص في مدينة كونتون. ويزورونه حتى الآن. وقد يكون لتابعي لاحق. أو لرجل من التجار الأوائل الذين وفدوا إلى الصين وقد تسمى بهذا الاسم وساهم في نشر الإسلام في تلك الديار، خصوصاً وأن هذا الاسم مشهور بين أهالي تلك المناطق.

وآخر عالم عرفناه بهذا الاسم هو المرحوم العالم الفاضل سعد وقاص الذي ولد في أنديجان وعاش وأقام في مكة المكرمة، ودرس وتلقى العلم في بخارى، وكان أبوه الشيخ سلطان عالماً فاضلاً دائم التنقل بين الحجاز والصين وبخارى، ووافته المنية في بشارو ودفن بها. والمهم في الأمر أن هذا القبر ليس للصحابي

الكريم سعد ابن أبي وقاص رضي الله عنه.

ويورد بدر الدين الصيني اقتباسات تؤكد أن وفوداً عربية ممن يرتدون الملابس البيضاء (الأمويين) ولابسي الأردية السوداء (العباسيين) قد وصلوا إلى الصين إبان العهد الأموي والعباسي، وعلى هذا فإن الإسلام وصل إلى الصينيين في عهد مبكر.

وقد أقام المسلمون في الصين مستوطنة عربية في «خانقو» وهي إحدى المدن التي جذبت التجار العرب والإيرانيين في القرن الثامن الميلادي، وكان لهم إمام يصلي بهم ويقضي بينهم[1] كما أن ابن بطوطة قد زار مدينة كانتون وغيرها من مراكز المسلمين.

وفي سنة ٧٥١ م استطاع جيش أبي مسلم الخراساني أن يهزم جيش (كسيان ـ سي) القائد العام لمنطقة (آن كسي) الخاضعة لأسرة (تانج) (٩١٨ ـ ٩٠٧) في معركة الطلاس نتيجة للصراع على طشقند، واستولى المسلمون على طشقند عقب هذه المعركة وأصبح لهم مكان رفيع في هذه المناطق.

---

(١) مع المسلمين في الصين: إبراهيم الذسوقي. مجلة الإسلام وطن (٢) العدد ٨ (١٤٠٨ هـ).

وفي سنة ٧٥٦ م أرسل الامبراطور (سوتشونج) رسولاً إلى الولاة العرب الذين كانوا يتولون الأمر نيابة عن الخليفة في آسيا الوسطى، يطلب منهم أن يرفعوا للخليفة (أبي جعفر المنصور) طلباً منه لكي يرسل له الخليفة نجدة لمقاومة ثورة هبت ضده وهددت عرشه وكانت بقيادة (آن لوشان). وقد استجاب الخليفة لذلك وأرسل له جيشاً قوامه عشرون ألفاً، وقد نجح هؤلاء في مهمتهم خير نجاح وردوا للامبراطور مكانته.

وفي عصر أسرة (سونغ) ٩٥٠ م إلى ١٢٧٧ م كان المسلمون يعيشون في محلة خاصة سميت محلة الأجانب وكانت مركزاً لنشاطهم الديني والاقتصادي[٢].

وهناك من يعتقد أيضاً بأن الإسلام قد دخل إلى الصين عام ٢٩ هـ في عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه.. وهذه رواية يرويها الصينيون.

ويذكر بعض الباحثين كذلك أن أول اتصال بين العالم الإسلامي والصين، يرجع إلى السنة الثانية من حكم الامبراطور فاو من أسرة تانغ (٦٥١ ميلادية). وأنه في فترة حكم أسرتي تانغ وسونغ، توسعت الاتصالات التي كانت تتم عن طريقي البحر والبر. وكان الطريق البري الواصل بين العالم

---

(٢) المرجع السابق.

العربي وشمال غربي الصين، يمر عبر بلاد الفرس وأفغانستان، وكانت الاتصالات التجارية والسياسية والعسكرية بين الصين والعرب تجري على هذا الطريق. أما الطريق البحري فيبدأ من بحر العرب إلى قوانغتشوا وتشيولنتشو وهانغتشو ويانغتشو ماراً بخليج البنغال ومضيق ملقا. وكان معظم من وصلوا إلى الصين بطريق البحر هم التجار من العرب والفرس، واستوطن عدد كبير منهم في الصين وتزاوجوا مع الهانيين. ولذلك يمكن اعتبار هؤلاء الوافدين الأوائل أسلاف المسلمين الصينيين.

وعلى أي حال فهناك روايات كثيرة عن دخول الإسلام إلى الصين تحتاج إلى بحث وتدقيق من بعض المتخصصين لأن الإسلام على ما يبدو دخل بطرق مختلفة وفي أوقات مختلفة لمناطق مختلفة أيضاً فقد تحدث نائب رئيس الوزراء الصيني عن دخول الإسلام إلى منطقة كاشفر عن طريق إسلام ابن الملك ثم الملك ـ وكان ذلك في حفل عشاء أقامه لمؤتمر الدعوة والدعاة الذي نظمته رابطة العالم الإسلامي بالتعاون مع الجمعية الإسلامية الصينية في الفترة من ١١ إلى ١٩ ربيع الثاني ١٤٠٨ هـ (٢ إلى ١٠ ديسمبر ١٩٨٧).

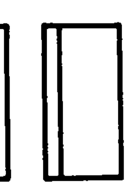
وهكذا بدأ انتشار الإسلام في المنطقة كلها، وكان للتجار والدعاة المسلمين الأثر الأكبر في ذلك. بسبب ما تميزوا به من

خلق وسلوك، كانا قدوة حسنة اتبعها الناس ودخلوا في دين الله أفواجاً.

ولا شك أن مسلمي الصين الأوائل كانوا رجالاً مخلصين جداً، أمناء على دينهم، فقد أنشأوا كثيراً من الأوقاف التي حفظت للمسلمين أماكن إقامة الشعائر، وأبقت لهم دخلاً مستمراً، حتى وإن كان بسيطاً فقليل دائم خير من كثير منقطع. وقد ثبتت أهمية الأوقاف في مثل هذه البلاد وفي الهند وأندونيسيا وغيرها، لمن زار هذه البلاد ورأى كيف حافظت أوقاف المسلمين على استمرار الدعوة هناك وأعطتهم دفعات في أوقات الشدة.

وقد كان للإسلام والمسلمين دوراً أساسياً في تاريخ الصين. فقد لعب المسلمون دوراً في تاريخ الصين يتراوح في أهميته بين القوة والضعف حسب الفترة الزمنية التي كان يعيش فيها المسلمون هناك. ويمكن تقسيم تاريخ المسلمين في الصين إلى مراحل أربعة:

١ ـ الفترة المبكرة من تاريخ الإسلام في الصين (٦١٨ ـ ٩٠٦ م) إلى (١٣٦٨ ـ ١٦٤٤ م).
٢ ـ فترة أسرة مانشو (١٦٤٤ ـ ١٩١١ م).
٣ ـ فترة ما قبل الحكم الشيوعي (١٩١٢ ـ ١٩٤٩ م).
٤ ـ العهد الشيوعي (١٩٤٩ حتى الآن).



الفترة الأولى من تاريخ الإسلام في الصين
(٦١٨ - ١٦٤٤ م)

بدأت هذه المرحلة أثناء حكم الأسرة التانجية (٦١٨ - ٩٠٧) واستمرت حتى نهاية عهد أسرة مينج (١٣٦٨ - ١٦٤٤ م).

وطوال هذه المرحلة تمتع المسلمون بدرجة كبيرة من الحرية الدينية رغم كون الكونفوشستيه هي الديانة الرسمية للدولة، كما تمتع المسلمون بأوضاع اجتماعية جيدة وتولى العديد منهم المناصب الحكومية العالية في عهد يوان. وأثناء حكم أسرة يوان المنغولية التي حكمت الصين من سنة ١٢٦٠ إلى ١٣٦٨ م ونتيجة لقبول المنغوليين بالإسلام فقد أصبح للمسلمين وزن كبير في تصريف شؤون البلد إلى الحد الذي جعل الكثيرين يعتبرون تلك الأسرة مسلمة.

وخلال عصر المغول في الصين والذي يسمى عصر (يوان)

(١) المسلمون في الصين (رسالة ماجستير) د. فريد قرشي.

أخذ المسلمون ينهضون بسرعة كبيرة، كما تدفق عدد من مسلمي آسيا الوسطى على الصين بعد أن أصبحت المنطقة كلها خاضعة للمغول. وعندما اختار قبلاي خان امبراطور الصين (١٢٧١ ـ ١٢٩٤ م) بكين عاصمة للامبراطورية، عين عالماً مسلماً ـ وهو شمس الدين عمر ـ في وظيفة عالية أتاحت له أن ينشر السلوك الإسلامي والاتجاهات الإسلامية في المنطقة. وكان شمس الدين عمر يلقب بـ «السيد الأجل». وقد استطاع حفيده أن يحصل من امبراطور الصين المغولي سنة (١٣٣٥ م) على الاعتراف بأن الإسلام هو الدين الحق، وقد تسبب ذلك في انتشار الإسلام بين الكثيرين من الصينيين. وكان مما سبب انتشار الإسلام في عهد المغول كذلك، أن بعض أباطرة المغول الصينيين المسلمين وضعوا شرطين لتولي أهل الصين المناصب، وهذان الشرطان هما معرفة لغة المغول واعتناق الدين الإسلامي.

ويذكر رشيد الدين مؤرخ ـ المغول ـ أن الامبراطورية المغولية كانت منقسمة إلى ١٢ ولاية وكان على ثمانية منها حكام مسلمون، وهذا يوضح مدى نفوذ المسلمين في الصين إبان هذا العصر[١].

---

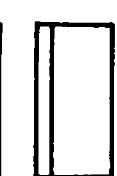
(١) تقرير البنك الإسلامي للتنمية عن الصين.

وفي عهد أسرة مينج (١٣٦٧ ـ ١٦٤٤ م) كان المسلمون من أوائل أهل الفكر، وفي الشمال كانوا يحتكرون أعمال نقل البضائع عن طريق القوافل التجارية. وطول القرن السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر وهي فترة بدأت من منتصف عهد أسرة يانج واستمرت لتشمل جزءاً من عهد أسرة مانشو (١٦١٤ ـ ١٩١١ م) كان المسلمون يتجهون نحو الصين. واتخذوا ألقاباً وأسماء صينية وأصبحوا من الناطقين باللغة الصينية. أما عادة التكلم باللغة العربية والفارسية واللهجات التركية والتي ربما استمرت لفترة طويلة بين الكثيرين حتى العصر المنغولي، فقد اختفت الآن من الناحية العملية، رغم أن عدداً قليلاً منهم حافظوا على لغتهم العربية أو الفارسية من أجل قراءة النصوص الإسلامية.



فَترة أسْـرَة مانشـو

انهارت قوة المسلمين مع انهيار الحكم المنغولي، ورغم أن المسلمين اتجهوا في عهد أسرة مينج نحو الصين، إلا أنهم كانوا يتمتعون بحرية العبادة. أما في عهد أسرة مانشو فقد عانوا من اضطهاد رهيب طوال ٢٦٧ عاماً. وخلال القرن التاسع عشر تعرض المسلمون لإبادات جماعية ذهب ضحيتها الملايين. لقد أدت هذه المجازر الجماعية إلـى تناقص السكان المسلمين بالملايين ومع ذلك فإن هذه الفترة رغم وقعها الكبير على المسلمين لم تكن أسوأ عهودهم بالمقارنة مع أوضاع المسلمين في ظل الحكم الشيوعي كما سوف نرى فيما بعد.



فترة ما قبل الحكم الشيوعي
(١٩١٢ - ١٩٤٩م)

يمكن تقسيم هذه المرحلة إلى قسمين:

١ ـ بداية الحكم الجمهوري التي استمرت خمسة عشر سنة (١٩١٢ إلى ١٩٢٧ م).

٢ ـ عهد الوطنيين ـ الجمهورية الجديدة التي عاشت اثنتين وعشرين سنة من ١٩٢٧ إلى ١٩٤٩ م.

وفي هذه المرحلة ـ ولأول مرة منذ بداية حكم أسرة مانشو في عام ١٦٤٤ م ـ ظهرت الانتفاضة الإسلامية إلى جانب الثورة الوطنية التي قامت في عام ١٩١١.

ويقول ت. وزارنولد: إن الجمهورية الجديـدة أعطت للمسلمين حرية العمل بدرجة لم يتمتعوا بها من ذي قبل في ظل أي حكومة سابقة. لقد كان المسلمون يؤيدون بقوة الجمهورية الأولى نتيجة ما عانوه من اضطهاد أسرة مانشو. واعتبرت الجمهورية الجديدة المسلمين عنصراً من العناصر الخمسة التي

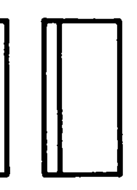
تكون الأمة الصينية. وكان للعلم الرسمي للدولة خمسة ألوان هي الأحمر والأصفر والأزرق والأسود، وجعل اللون الأبيض رمزاً للسلام. وفي هذه المرحلة تكون العديد من الجمعيات الإسلامية وخاصة ـ في فترة الجمهورية الأولى ـ مثل:

١ ـ جمعية تطوير الصين التي كونها المسلمون في بكين عام ١٩١١ م.

٢ ـ جمعية الفنون الإسلامية (١٩٢٤ م) وكان من أهدافها ترجمة القرآن الكريم إلى اللغة الصينية، وتعليم اللغة العربية والدعوة إلى الإسلام، وفتح المدارس الليلية، وإنشاء المراكز والمكتبات الإسلامية، ونشر مجلة إسلامية.

٣ ـ جمعية المسلمين المتحدين لعموم الصين. والآن هذه الجمعية قد أنشئت عام ١٩٣٧ م إثر الهجوم الياباني على جنوب الصين، فقد حظيت بدعم كبير من الحكومة. وقد لعبت دوراً كبيراً في دعم الحكومة الجمهورية ضد الشيوعيين لأنها كانت تضم ممثلين عن معظم المناطق الإسلامية.

* * *



فترة الحكم الشيوعي
(١٩٤٩ حتى الآن)

بعد تأسيس الصين الجديدة وبعد ذهاب الإرهاب وعصابة الأربعة تمتع المسلمون الصينيون مع المؤمنين بالأديان الأخرى بحق حرية الاعتقاد على السواء، وتخلصوا لأول مرة من الاضطهادات التي كانوا يتعرضون لها في ظل الحكومات السابقة. وفي أوائل ١٩٥٢ م دعت الأوساط الإسلامية ممثلة في شخصياتها البارزة: الحاج برهان شهيدي، والحاج نور محمد دا يوشنغ، والحاج محمد مكين وغيرهم، إلى إقامة جمعية تلم شتاتهم وتخدم قضاياهم.

وفي مايو (أيار) ١٩٥٣ م انعقد المؤتمر الإسلامي الصيني الأول ببكين، حيث تمت إقامة الجمعية الإسلامية الصينية. وقد تولى رئاسة المؤتمر والجمعية في الدورات الأولى والثانية والثالثة برهان شهيدي، الذي أصبح بعد أن تقدمت به السن رئيس شرف للمؤتمر الرابع. أما الرئيس الفعلي لهذا المؤتمر فكان محمد

علي تشانغ جيه. وقد أنشئت للجمعية فروع في الأقاليم الإسلامية الأخرى من الصين.

وفي إبريل (نيسان) ١٩٥٥م أنشأت الجمعية الإسلامية الصينية المعهد الإسلامي الذي تخرجت فيه خلال السنوات اللاحقة أعداد مرموقة من رجال الدين والباحثين المتخصصين في الإسلاميات. وفي السنوات الأخيرة فرغت الجمعية عدداً من الباحثين لهذه الدراسات، وأصدرت ترجمة صينية للقرآن الكريم أجراها العلامة الراحل محمد مكين، وعدداً من المؤلفات المعتمدة في الفقه والحديث. كما بدأت منذ عام ١٩٥٧ بإصدار مجلة (مسلمو الصين).

وتحظى عادات المسلمين وتقاليدهم في المعيشة والأعياد والزواج والتأمين وغيرها باحترام وحماية الدولة بموجب الدستور.

وقد أرسلت الجمعية الإسلامية الصينية بدأً من عام ١٩٥٥م، ١١ بعثة حج إلى الحج. وبدعوة من الجمعية زار الصين العديد من الشخصيات الإسلامية من البلدان المختلفة، كما أرسلت الجمعية وفودها إلى العديد من الدول الإسلامية بناء على دعوات هذه الدول. وتشارك الجمعية أيضاً في المؤتمرات الإسلامية الدولية التي تقام بين وقت وآخر للمداولة والبحث في

شؤون المسلمين وتاريخهم. وهكذا يلعب مسلمو الصين دورهم في تعزيز الصداقة والعلاقات الطيبة بين بلادهم والبلدان الأخرى على أساس من التفاهم المتبادل والتقاليد المشتركة.

هذا، ويؤكد الدستور الصيني في جميع مراحله على الحرية الدينية للمواطن الصيني، مع أن جميع الطوائف الدينية قد عانت الأمرين وخاصة المسلمين في مرحلة جنون الثورة الثقافية. ولكن الدستور الجديد الذي أقره مجلس الشعب الصيني أوضح في المادة ٣٦: «إن جميع مواطني جمهورية الصين الشعبية يتمتعون بحرية الاعتقاد الديني. ولا يحق لأية هيئة حكومية، أو مؤسسة شعبية، أو لأي فرد، أن يضغط على المواطنين في سبيل الاعتقاد بدين أو الإنكار لأي دين. والحكومة تحمي النشاطات الدينية العادية. ولا يجوز لأي أحد أن يستخدم الدين في نشاطات تؤدي إلى إزعاج النظام العام أو الإضرار بصحة المواطنين أو التدخل في النشاط التعليمي الحكومي، والهيئات الدينية لا تخضع مطلقاً لأية سيطرة أو تدخل أجنبي».

كذلك جاء في المادة ٣٤: «تعمل الدولة على بناء الثقافة الروحية الاشتراكية من خلال نشر التعليم في المثاليات والأخلاق والتعليم العام والأدب والنظام كما تعلم الحكومة

الناس الوطنية والجماعية والعالمية والشيوعية والجدلية التاريخية والمادية. وتحارب الرأسمالية وغيرها من الأفكار الضارة».

ويتضح من تعبير (الروحية) في المادة ٣٤، أن هناك إمكانية لنشر التعليم الديني، لكن الفقرة التي تقول: «عدم التدخل في النشاط التعليمي الحكومي» في المادة ٣٦ تنفي هذه الإمكانية، ولا تعطي الحق للطوائف المختلفة للتبشير بدينها والدعوة إليه. وأن هذه الأعمال ستعتبر في زعم الحكومة تحريضاً ضد الثورة تحت ستار الدين.

وبرغم الحرية الدينية التي كفلها الدستور لأفراد الشعب إلا أن الجهات التي تشرف على النشاطات الدينية لا تزال حكومية. وبالنسبة للمسلمين فإن هناك ثلاث إدارات رسمية تشرف على نشاطهم لتطبيق سياسة الحزب الشيوعي:

١ ـ وزارة الأقليات القومية برئاسة إسماعيل أحمد وهو من مسلمي تركستان الشرقية.

٢ ـ مكتب الشؤون الدينية ويتبع مجلس الوزراء برئاسة رجل ملحد يدعى رن ووجي ويشرف هذا المكتب أيضاً على النشاطات الدينية لكافة الأديان السائدة في الصين.

٣ ـ الجمعية الإسلامية الصينية ويرأسها الشيخ برهان شهيد

نائب رئيس اللجنة الوطنية الخامسة للمؤتمر الصيني الشعبي السياسي.

هذا، ولقد كانت فترة الثورة الثقافية، التي انتهت بحمد الله، نقطة سوداء في حكم الصين ومعاملة المسلمين واضطهادهم.

ولا شك أن ما مر بالمسلمين كان محنة عظيمة جداً، وقد جاهدوا وحافظوا وكافحوا ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً. فلقد حافظ المسلمون في الصين على عاداتهم الخاصة في الأكل في الفترة التي سبقت استيلاء الشيوعيين على الحكم، وتشبثوا بكل قوة بعادة ذبح الخراف حسب الشريعة الإسلامية، كما أنهم لم يتحولوا إلى أكل لحم الخنزير. أما في ظل الحكم الشيوعي فقد سبب ذلك مشكلة كبيرة لهم وأثار موجة عارمة من الاحتجاج عندما أجبر المسلمون على أكل لحم الخنزير نتيجة سياسة الجبهة الموحدة التي اتبعها الشيوعيون في مهد الثورة الثقافية.

وبعد أن تعرض المسلمون لمحنة «القفزة الكبرى إلى الأمام» خلال الثورة الثقافية، امتحنوا امتحاناً عظيماً وتعرضوا لمضايقات كثيرة وصبروا صبراً كبيراً، حتى يحافظوا على هويتهم الإسلامية. ومع ذلك فإن التقاليد الإسلامية في زينينجنج (تركستان الشرقية) ما زالت قائمة في معظم أرجاء المنطقة

حسب ما يرويه اثنان من شهود العيان كما سنرى لاحقاً. أما في المناطق الأخرى فإن المسلمين وفق ما جاء في مجلة الجزيرة العربية ـ أخبار العالم الإسلامي ـ حافظوا على دينهم بمزاولة عباداتهم في السرية رغم ثلاثين سنة من الاضطهاد الحكومي.

أما الآن فإن المسلمين يحظون بفرص أفضل نسبياً مما كان يتاح لهم خلال الثورة الثقافية للمحافظة على ما تبقى من خصائصهم الإسلامية، رغم أننا لا نستطيع أن نتجاهل تأثير ثلاثين سنة من الحكم الشيوعي على خصائصهم الفردية وعلى فهمهم للإسلام.



الفصل الثالث

حاضر المسلمين الصينيين

تعمل الجمعية الإسلامية الصينية خلال فروعها المنتشرة في مناطق الأكثرية الإسلامية على برمجة النشاط الإسلامي وإعداد القوى البشرية الإسلامية المهيأة للقيام بكافة الأعمال والوظائف الإسلامية، ومباشرة أوجه النشاطات الإسلامية من تنظيم بعثات الحج الرسمية، والتعليمية، وإيفاد الوفود الرسمية واستقبال الوفود الواردة، وطبع ونشر القرآن الكريم والكتب الإسلامية. والجمعية الإسلامية الصينية هي الجهاز الوحيد الذي يحق له الإشراف على جميع الشؤون الإسلامية، ومن أهم أعمالها أنها قامت بطبع الآتي في السنوات الأخيرة على سبيل المثال:

- القرآن الكريم.
- ترجمة معاني القرآن الكريم لفضيلة الشيخ محمد مكين باللغة الصينية.
- ترجمة جواهر البخاري مع شرح القسطلاني باللغتين الصينية والتركستانية.

ـ تفسير الجلالين.
ـ اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان.
ـ دعاء ختم القرآن.
ـ خطب الجمعة.
ـ نور اليقين في سيرة سيد المرسلين.

كما افتتحت الجمعية معهداً للدراسات الإسلامية في مقرها ببكين منذ سنتين، ويدرس به حالياً ٧٨ طالباً في المرحلتين الأولى والثانية، كما بعثت عشرة طلاب من المسلمين إلى جامعة الأزهر في القاهرة ومثلهم إلى جامعة بغداد في العراق لإتمام الدراسات الإسلامية. وأقامت الجمعية دورة تعليمية للأئمة والخطباء لمدة شهر في مدينة أورمجي عاصمة تركستان الشرقية في منتصف عام ١٩٨٣ . كما نظمت بعثات الحج الصينية منذ عام ١٣٩٩ هـ إلى الأراضي المقدسة، وكذلك أوفدت بعثات أخوية إلى بعض الدول الإسلامية مثل باكستان والعراق والجزائر والأردن والكويت وغيرها، واستقبلت وفوداً إسلامية استطلاعية من مصر ورابطة العالم الإسلامي واليمن الشمالي وماليزيا، كما قامت بترميم وإصلاح بعض المساجد الأثرية والتاريخية في مختلف أرجاء الصين.

ونظراً لاختفاء كثير من أئمة المساجد أثناء الثورة الثقافية التي أغلقت فيها المساجد وقتل العلماء وأتلفت الكتب الإسلامية، تعمل الجمعية الإسلامية الصينية المركزية مع فروعها في مقاطعات الأكثرية الإسلامية مثل سنكيانغ ونينغ لإعداد الأئمة والخطباء للمساجد التي افتتحت وبنيت حديثاً في السنوات الخمس الماضية.

* * *

عدد المسلمين في الصين

كان عدد المسلمين في الصين في أول الأمر حوالي ٤٨ مليون مسلم، عندما كان عدد الصينيين ٤٦٠ مليوناً، وقد ظهر ذلك في الإحصاءات الرسمية سنة ١٩٤٨ م. وعلى هذا فإن بعض الباحثين يرى أنه بعد زيادة عدد السكان في الصين اليوم إلى ألف ومائتي مليون نسمة (١,٢٠٠,٠٠٠,٠٠٠)، وعلى افتراض أن الزيادة في نسبة المواليد هي نفس الزيادة في النسبة العامة للسكان، فإن عدد المسلمين اليوم يكون حوالي مائة مليون مسلم. ولكن هناك أقوال عديدة عن هذا الموضوع، والجهات الرسمية لا تعطي رقماً محدداً معقولاً، ففي الوقت الذي قدرنا فيه العدد بمائة مليون مسلم، وجدنا من يحدثنا في أول يوم وصولنا، ويذكر بدون سابق تحفظ أن العدد مائة وأربعون مليون مسلم، ثم ذكروا في حفل الجمعية الإسلامية أن العدد حوالي خمسين مليون مسلم، وفي احتفال نائب الرئيس ذكر البعض أن العدد رسمياً لا يزيد على عشرين مليوناً، ويبدو

أن الجهات الرسمية لا ترغب في إعطاء رقم محدد واقعي لأسباب لم نعلمها أو لغياب الإحصاء. وقيل إنه: «في عام ١٩٤٨ م ورد في الكتاب السنوي للصين الذي نشر في تشونج كينج أن عدد السكان المسلمين قد بلغ (٤٨,١٠٤,٠٠٠) نسمة»، ويقول داود ينتج الذي أورد التقدير السابق في مقالته: «الثقافة الإسلامية في الصين» بأن التقدير الرسمي قريب من الرقم ٥٠ مليوناً والذي يعتبره المسلمون الصينيون أصح التقديرات وأكثرها جدارة بالقبول والاعتماد. وقد استنتج أنه إذا كان العدد الإجمالي للسكان في الصين يبلغ (٥٠٠) مليون نسمة - في عام ١٩٥٨ م - فإن المسلمين يشكلون حوالي ١٠٪ من الشعب، وهذا يجعل المسلمين ثاني أكبر الأجناس الخمسة التي يتكون منها الشعب الصيني. أما الهانيون فيأتي ترتيبهم الأول من حيث عدد السكان ثم يأتي الهيويون. وهنا يمكن إضافة فئات أخرى من المسلمين كالأتراك والفرس وأحفاد العرب والأقليات المنغولية والتبتية والمانشوية في ذلك الترتيب.

وفي عام ١٩٥٧ م ذكر الكتاب السنوي للصين الذي نشر في تايوان بعد انتقال حكومة كيومنتاج إليها من الصين، بأن عدد المسلمين في البر الصيني هو ٥٠ مليون نسمة وقال إنهم يشكلون ١ : ٩ من مجموع سكان البر الصيني. وظل هذا الرقم نفسه

(٥٠ مليون نسمة) يرد في الكتاب السنوي سنة بعد سنة من عام ١٩٥٧ م إلى عام ١٩٧٨ م رغم الازدياد المطرد في عدد سكان الصين.

وفيما يلي بيان بتقديرات عدد المسلمين الصينيين وفقاً للمصادر المختلفة حتى عام ١٩٨٠ م:

السنة	المصدر	عدد السكان بالملايين
١٩٧٢	أطلس العالم (التايمز)	٩٠
١٩٧٤	كتاب حقائق العالم	١٠٨
١٩٧٥	الأطلس الجغرافي الوطني	٩٨
١٩٧٦	المعجم الجغرافي للعالم الإسلامي	١٠١
١٩٧٩	مجلة تايم	١١٥
١٩٨٠	مجلة معهد شؤون الأقليات الإسلامية	١١٥

وبتمركز المسلمون ـ بصفة خاصة ـ في منطقة الحزام الإسلامي التي تقع غرب الصين وتضم إلى جانب تركستان الشرقية: ولايات قانصو، وينغ شيا، وشنغهاي، وشانش، وزيجوان، ويوننان، وذلك بالإضافة إلى ما في جنوب الصين من ولايات كوانج دونج شي، وهونان وخوبة، وانخوي.

وبصفة عامة نجد في كل ولاية صينية عدداً من المسلمين الذي ينتمون إلى قومية خوى الواسعة الانتشار.

ومن بين القوميات الـ ٥٦ التي تتكون منها جمهورية الصين الشعبية، نجد عشر قوميات تعتنيق الإسلام، وبيانها وتعداد سكانها ومدى انتشارها وفقاً للتقديرات الرسمية لعام ١٩٨٣ كالآتي:

م	القومية	التعداد	الجنسية ومكان الانتشار
١	الايغور	٧٢١٩٣٥٢	من الأتراك في تركستان الشرقية
٢	الخوى	٥٩٥٧١١٢	من الصينيين في كل أنحاء الصين
٣	القازاق	٩٠٧٥٨٢	من الأتراك في تركستان الشرقية قانصو وجنغهاي
٤	دونغشيانغ	٢٧٩٣٩٧	من المغول في ولايتي قانصو ومنغوليا الداخلية
٥	القيرغيز	١١٣٩٩٩	من الأتراك في تركستان الشرقية
٦	السالار	٦٩١٠٢	من الأتراك في ولايتي قانصو وجنغهاي
٧	التاجيك	٢٦٥٠٣	من الأتراك في تركستان الشرقية
٩	بوآن	٩٠٢٧	من المغول في ولاية قانصو
١٠	التتار	٤١٢٤	من الأتراك في تركستان الشرقية

وبهذا فإن التقديرات الرسمية لحكومة الصين الشعبية عن المسلمين تشير إلى أن عدد المسلمين في الصين الشعبية يتراوح بين ما لا يقل عن ٥٠ مليوناً وما لا يزيد على ١٢٠ مليون نسمة، ويرجع ذلك إلى أن التقديرات الإحصائية للمسلمين قبيل الحكم الشيوعي كانت نوعين:

١ - تقديرات المستشرقين الأوربيين والتي يشير متوسطها إلى أن عدد المسلمين كان عشرين مليون نسمة في أوائل القرن العشرين، عندما كان تعداد الصين الإجمالي هو أربعمائة مليون نسمة. والآن وقد بلغ سكان الصين ١٢٠٠ مليون نسمة فلا بد أن يكون عدد المسلمين الصينيين هو ستون مليون نسمة، وذلك قياساً على الزيادة الإجمالية مع أن نسبة الإنجاب عند المسلمين أكبر مما عند سواهم.

٢ - تقديرات حكومة الصين الوطنية أيام الكومنتانغ في عام ١٩٤٨ م، والتي تشير إلى أن عدد المسلمين هو ٤٨١٠٤٢٤٠ نسمة، معتمدة على تقديرات بعض المستشرقين الغربيين والمسلمين الصينيين أنفسهم.

كما تشير تصريحات الرسميين ومؤلفاتهم إلى أن عدد المسلمين الصينيين كان لا يقل عن ستين مليون نسمة، حين كان عدد الصينيين الإجمالي حينذاك خمسمائة مليون نسمة.

ومن هذا يتضح أن هناك تبايناً شديداً بين ما ورد في التقديرات الحكومية وما ورد في تقديرات المصادر الأخرى.

ولعل السبب في ذلك يرجع إلى أن الإحصاءات العامة الرسمية للسكان في الصين لا تأخذ الدين في الاعتبار، إنما تأخذ القومية فحسب، وذلك وفقاً لسياسة الدولة اللادينية.

وعلى ذلك فالتقديرات الحكومية تعتمد فقط على القوميات الإسلامية، وتغفل غيرها من القوميات التي تضم مسلمين كثيرين، تتمركز في الولايات الآتية:

١ ـ ولاية شانكتسي، وبها خمسون ألف مسلم.

٢ ـ ولاية زيجوان، وبها آلاف المسلمين الذين لم يتم حصرهم، كما أن بها مسجداً كبيراً في عاصمتها جنغ دو.

٣ ـ ولاية منغوليا، وفي عاصمتها وحدها ما يزيد على ٣٠ ألف مسلم، كما أن بالولاية مسجدان.

٤ ـ ولاية هينان، وفي إحدى مدنها (كايغونغ) ٣٠ ألف مسلم، وينتشر في الولاية ٣٣٤ مسجداً تغطي أنحائها، مما يدل على كثرة عدد المسلمين فيها.

٥ ـ ولاية جيانغ سو، وبها جالية إسلامية كبيرة غير محصورة العدد، وكان بها ٣٦ مسجداً قبل الحكم الشيوعي.

٦ ـ ولاية كوانغ جو (كانتون سابقاً) وبها أقدم مسجد أقامه العرب قديماً. وتعداد المسلمين فيها غير محصور.

٧ ـ بكين العاصمة وبها ١٦٠ ألف مسلم وخمسة مساجد.

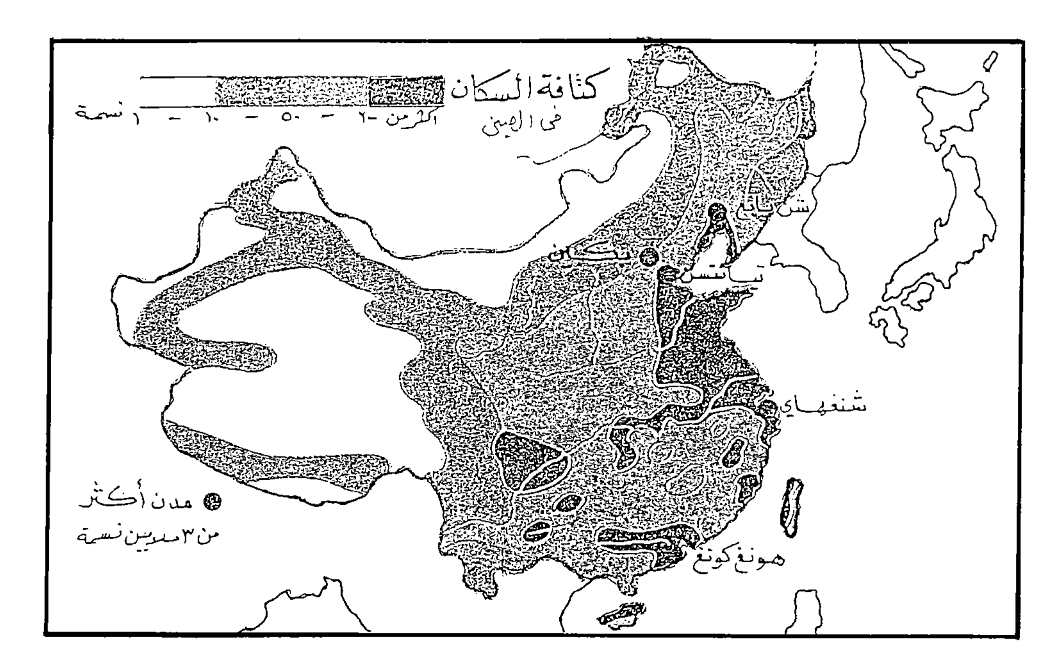
٨ ـ مدينة شنغهاي. وهي المدينة الصناعية الشهيرة، وكانت مقراً لكثير من الجمعيات والمدارس الإسلامية وكان بها عشرة مساجد قبيل الحكم الشيوعي، ولا زال فيها اثنان منها تقام فيهما الشعائر الدينية تحت إشراف الجمعية الإسلامية الصينية. أما عدد المسلمين فهو كثير ولكن لم يتم حصره.

٩ ـ مدينة تيانجين. وهي ثالثة مدن الصين من حيث عدد السكان، والمسلمون بها لم يتم حصرهم، غير أن بها ١١ مسجداً مما يدل على كثرتهم.

والحقيقة أنه مما يزيد من صعوبة إحصاء المسلمين بالصين، أن حكومة الصين الشعبية تطبق سياسة شيوعية، لا تعترف بالدين بل تحاربه وتعمل على تصغير شأنه وتقليل عدد معتنقيه. وهي سياسة واحدة في جميع الدول الشيوعية. ومما يعقده أيضاً أن المسلمين الصينين، بعد معاناتهم من مظالم الأباطرة المانشوريين، دفعهم الخوف من البطش الشيوعي واستبداده إلى إخفاء حقيقة إسلامهم وبخاصة وأنهم يتسمون بأسماء صينية في

سجلات الحكومة. وهم المسلمون الوحيدون في العالم الذين هم أسماء رسمية للاستعمالات الحكومية وأسماء إسلامية يتداولونها فيما بينهم، لهذا فإنه لا يمكن التفريق بين المسلم الصيني وغيره من اتباع الأديان الأخرى اعتماداً على الاسم الرسمي فقط. وحتى الإحصاءات الرسمية لأفراد القوميات لا تشكل الرقم الصحيح في الدول الشيوعية، حيث إن الحكومات تلجأ إلى التهوين من حجم الأقليات القومية لكي تمنع مطالبة سكانها بحقوقهم القومية، ولكي تفوت على الدول الأجنبية التي تنتمي إليها تلك القوميات فرص التعاطف معها، ومن ثم دعمها ومؤازرتها.

* * *


كثافة السكان
في الصين
أكثر من ٢٠٠ - ٥٠ - ١٠ - ١ نسمة
شن يانغ
بكين
تيانتسن
شنغهاي
هونغ كونغ
مدن أكثر
من ٣ ملايين نسمة

سياسة التسامح الديني

إن الحرية الدينية، أو بالأصح سياسة التسامح الديني المحدودة، التي تعتبر أحد أوجه سياسة الانفتاح الصيني الحديث، هي حرية نسبية مثل الحريات الفردية الأخرى. فالفرد حر في أن يمارس شعائر دينه التي تقتصر على الناحية الفردية العادية، طالما لا تتعارض هذه الممارسة مع سياسة الدولة، مثل الصلاة في المساجد التي أعيد افتتاحها للمسلمين منذ بضعة أعوام، وبعد سنوات طويلة من الإغلاق والتهجير، وتمكن المسلمون من ترميم وإصلاح بعض المساجد التي عبثت بها أيدي التخريب والتدمير خلال الثورة الثقافية، كما عادت بعثات الحج إلى سيرتها الأولى منذ عام ١٩٧٩، وعادت العلاقات والزيارات الإسلامية بين مسلمي الصين ممثلة في الجمعية الإسلامية الصينية ومختلف الهيئات الإسلامية على النطاق الرسمي، وعادت المصاحف والكتب الإسلامية إلى

التداول المحدود، بعد أن كانت معدومة نتيجة مصادرتها من أيدي المسلمين وإتلافها بالحرق أثناء الثورة الثقافية.

وهذا التسامح الديني الحديث الذي تنتهجه الحكومة لم يكن بدون أهداف، بل تستهدف الدولة منه تحقيق غايات من أهمها الآتي:

١ ـ إن الحرية الدينية تساعد على تجميع القوى الوطنية حول برنامج تطوير البلاد، وتحقيق سياسة التحديث في المجالات الأربعة وهي: الصناعة والزراعة والجيش واستعمال التكنولوجيا الحديثة في سبيل الوصول بالصين إلى دولة حديثة قوية مع نهاية القرن العشرين كما يأملون.

٢ ـ إن المد الإسلامي المتعاظم الآن في أنحاء كثيرة من العالم كان لا بد أن يقابل من جانب أي دولة لها مصالح مع المسلمين بقدر متكافىء من الاهتمام، وبخاصة عندما يكون مسرح هذا المد الإسلامي هو مناطق البترول والطاقة فضلاً عن اعتبارها أسواقاً هامة للمنتجات الصينية.

٣ ـ مقاومة المد السوفياتي الذي لا يزال يسلك مسلكاً عدائياً نحو الدين، فقد كان الغزو السوفياتي لأفغانستان في ٢٧ ديسمبر ١٩٧٩ بمثابة نقطة تحول في السياسة الصينية في

اتجاه مجاملة المسلمين لأجل أن تظهر أمام الجميع بأن السوفيات هم المعتدون على الإسلام والمسلمين، بينما يقف الصينيون موقف المعاون والداعم للإسلام والمسلمين. وهذا يفسر دعوة الجمعية الإسلامية الصينية في مؤتمرها الرابع عام ١٩٨٠ المسلمين إلى الجهاد ضد الغزو السوفياتي وتأييد نضال المجاهدين.

٤ - كسب الأقليات الإسلامية في الصين الشعبية التي طالما هددت الحكم الشيوعي بالثورات - وبخاصة مسلمي تركستان الشرقية التي تمتد على الحدود المتآخمة مع الاتحاد السوفياتي - وذلك من آثار الدعاية الأجنبية، والتسلل الروسي إليها. فتم منحهم مزيداً من الحرية الدينية التي لا تتوفر لإخوانهم المجاورين في تركستان الغربية التي يحتلها الاتحاد السوفياتي، فضلاً عن أن ذلك يؤدي إلى تكوين جبهة وطنية ضد الاستفزازات الروسية وبخاصة وأن هذه المنطقة كانت ولا تزال محل نزاع بين الدولتين.

٥ - بالإضافة إلى ما مضى فإن هناك مناخاً يسوده الانفراج النسبي منذ عام ١٩٧٨، أي منذ سحق عصابة الأربعة وتولى القيادة الجديدة زمام السلطة. وهذا المناخ استفادت منه أطراف كثيرة، ومنها أصحاب الأديان بوجه عام، وهم

الذين أصابهم الكثير من العنت والاضطهاد طوال سنوات الثورة الثقافية التي دامت أكثر من عشرة أعوام. ويقول بعض المتفائلين أن المجتمع الصيني الـذي عانى من التعذيب والإرهاب ويئس من المبادىء الشيوعية التي جلبت كثيراً من الدمار والخراب، بدأ الآن يتطلع إلى الإيمان والدين بحثاً عن الغذاء الروحي الذي يبعث فيه الاطمئنان والراحة النفسية.



الإسلام في تركستان الشرقيّة

تعتبر تركستان الشرقية من أكبر ولايات الصين، إذ تحتل خمس مساحتها وتربطها حدود مشتركة مع كل من الهند وباكستان وأفغانستان والاتحاد السوفيتي و (تركستان الغربية) ومنغوليا. وهي من المناطق الصينية الغنية بالمعادن مثل الذهب والفضة واليورانيوم والحديد والفحم والنفط.

وقد أطلقت الحكومة الصينية على هذه المنطقة بعد ضمها إلى الأراضي الصينية عام ١٨٨٤ م اسم (سنكيانغ أويغور) الذي يعنى باللغة الصينية «الحدود الجديدة» مما يدل على أن هذه المنطقة لم تكن جزءاً من الصين.

وحتى لا يفسح للمسلمين في تركستان أي مجال للمطالبة مستقبلاً بتقرير المصير، تسعى الحكومة الآن إلى قلب الموازين الديموغرافية في هذا البلدان وجعلهم الأقلية. وبدأت في تنفيذ سياسة (تصيين) تركستان بتهجير الصينيين البوذيين (الهان) من

مختلف مقاطعات الصين إلى تركستان بالذات، لجعل نسبة الصينيين أكبر من نسبة المسلمين الأتراك. ونتيجة تطبيق هذه السياسة تناقصت نسبة المسلمين من ٩٠٪ في عام **١٩٤٩** إلى **٥٣٪** في عام **١٩٨٣** م.

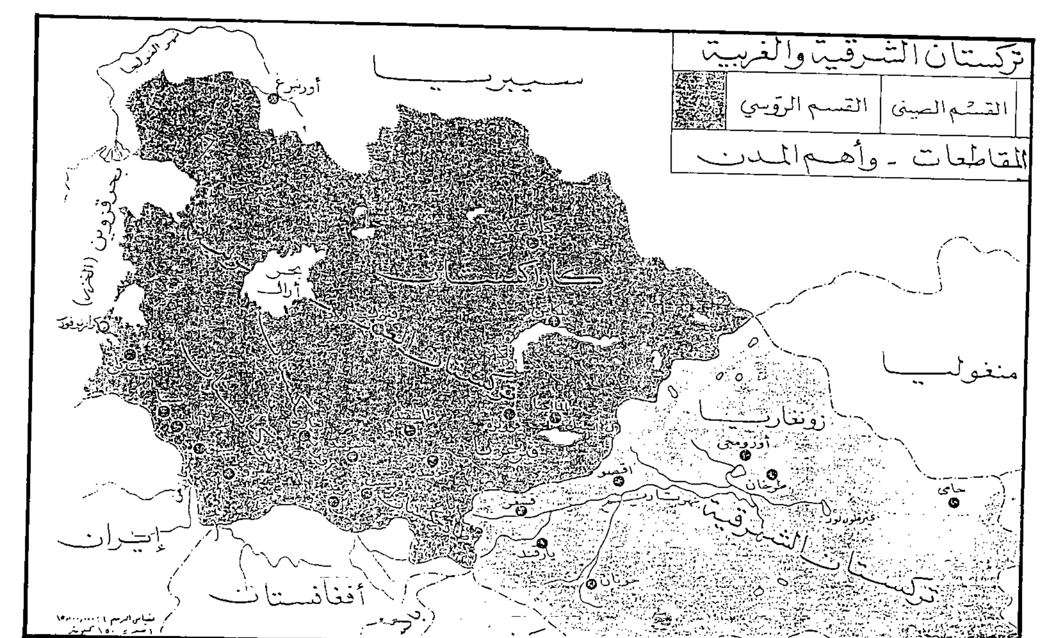
ومن المتوقع أن تستمر نسبة تناقص المسلمين مع استمرار الحكومة في سياسة التهجير وإعلانها عن تنفيذ خطة لنقل مائة مليون صيني إلى تركستان الشرقية بهدف إذابة الشخصية الإسلامية.

فلقد كان المسلمون في التركستان الشرقية قبل الحكم الشيوعي يشكلون ٩٠٪ من جملة السكان. بيد أن الحكومة الشيوعية في خلال السنوات الثلاثين الأخيرة نقلت إليها أكثر من خمسة ملايين صيني بوذي. فبعد أن كان عدد الصينيين ثلاثمائة ألف نسمة في عام **١٩٥٣** صار عددهم الآن يقارب ستة ملايين نسمة، مما أدى إلى انخفاض نسبة المسلمين في البلاد إلى ما يقرب من ٧٠٪ من جملة السكان. ولا تزال الحكومة تعلن صراحة أنها ستعمل على تنفيذ خطة لنقل مائة مليون صيني إلى تركستان الشرقية والمناطق الإسلامية الصينية المجاورة في غرب الصين، تمهيداً لامتصاص واحتواء المسلمين بالأكثرية الصينية البوذية المهجرة، وإذابة شخصيتهم

الإسلامية. ولا بد من صحوة إسلامية لإيقاف هذه الخطة الصينية الرامية إلى تقليص النفوذ الإسلامي في تلك البلاد.

لقد بلغ سكان تركستان الشرقية ١٣,٠٨١,٦٨١ نسمة حسب الإحصاء الحكومي لعام ١٩٨٢ وهو رقم لا يقره الزعماء لتركستانيون، إذ يقدرون سكان تركستان الشرقية بما لا يقل عن ٢٥ مليون نسمة حالياً، وإن تعداد المسلمين وحدهم لا يقل عن عشرين مليون نسمة. والمسؤولون المسلمون الصينيون يقولون إن نصف مسلمي الصين عموماً يقيم في تركستان لشرقية. والتقديرات الصحيحة لسكان تركستان الشرقية مثل تعداد مسلمي الصين تدخل ضمن المواضيع الغامضة التي تكتنفها الأمور التي سبقت الإشارة إليها.

* * *



تركستان الشرقية والغربية
القسم الصينى
القسم الروسي
المقاطعات - وأهم المدن
سيبريا
منغوليا
زونغاريا
تركستان الشرقية
كازكستان
بحر آرال
بحر قزوين (الخزر)
إيران
أفغانستان
أورنبرغ
أورومجى
أقصو
حامى
ياركند
خوتان
نهر تاريم

أشهر المساجد في[٧٠] الصين

بنيت معظم المساجد في الصين على شكل قصور (بدون
أذن وقباب)، بينما شيدت الجوامع في شينجيانغ والمناطق
أخرى على الطراز الإسلامي السائد.

وللجوامع الصينية تاريخ عريق، فقد بُني مسجد قوانغتا في
انغتشو ومسجد تشينغجينغ في تشيوانتشو على أيدي التجار
عرب والفرس في أسرتي تانغ وسونغ. ومسجد قوانغتا المسمى
ضاً مسجد هوايشنغ هو من أقدم المساجد في المناطق
ساحلية، ويرجع تاريخه إلى أكثر من ١٣٠٠ سنة. أما مسجد
نغجينغ في مدينة داتشونغشيانغفو (١٠٠٩ م) من أسرة سونغ
شمالية ويرجع تاريخه إلى أكثر من ٩٠٠ سنة، وهو مبنيّ على
ار جوامع دمشق. ويعتبر جامع نيوجيه ببكين أحد الجوامع
خمسة القديمة في الصين، وقد شيد في العام الثاني من أعوام
يداو (٩٩٦ م) لأسرة سونغ الشمالية، وتم توسيع بنائه أربع

مرات خلال أسرة يوان ومينغ وتشينغ حتى ناهزت مساحت
٦٠٠٠ متر مربع. وطرازه العام صيني لكن هيكله الداخلي
لا سيما بيت الصلاة، مبني على النمط الإسلامي السائد، وتبلغ
مساحة الصحن ٦٠٠ متر مربع وتتسع لأكثر من ٠٠٠
مصل. ومن المساجد المشهورة في الصين كذلك مسجد العنقا
بمدينة هانغتشو، ومسجد ليباي بمدينة يانغتشو، وجامع هو
جيويه بمدينة شيآن، وهي من منشآت أسرتي تانغ وسونغ
وجامع دونغسي ببكين وجامع ايتكار في مدينة كاشغ
بشينجاينغ يرجعان إلى أسرتي تانغ وسونغ، وجامع دونغسي
ببكين وجامع ايتكار في مدينة كاشغار بشينجاينغ يرجعان إ
أسرتي يوان ومينغ. وتكرس هذه الجوامع حيوية المد الإسلام
في الصين، علاوة على دلالتها كنماذج شاخصة لفنون العما
الصينية. وقد عنيت بها حكومة الصين الشعبية وأدرجتها
قائمة الآثار المشمولة بالحماية، مع الحرص على استمرارها
أداء دورها كأماكن للعبادة.

* * *

الأعياد الإسلامية

يحتفل المسلمون الصينيون بثلاث مناسبات:

١ ـ عيد الفطر في أول شوال.
٢ ـ عيد الأضحى في العاشر من ذي الحجة.
٣ ـ يوم المولد النبوي في الثاني عشر من ربيع الأول.

وقد صار عيد الفطر عيداً تقليدياً للأقليات القومية العشر: هوي، ويغور وقازاق، وقرغيز وغيرها ويحتفل به عادة في المساجد حيث يتوجه الناس في الصباح الباكر لابسين ثياب العيد الجميلة، بعد أن يكونوا قد اغتسلوا في المساء، وهناك يتبادلون التهاني بالمصافحة والعناق وكلمات: «السلام عليكم عيد مبارك» بلفظها العربي، وتقام صلاة العيد في المسجد بإمامة أحد رجال الدين. وتعد العائلات المسلمة في هذه المناسبة أطعمة خاصة.

ويحتفل بعيد الأضحى المبارك على نفس الغرار، وهو ثاني

الأعياد التقليدية للقوميات المسلمة. وفي مناطق الشمال الغربي تقترن الاحتفالات بنحر الأغنام والأبقار وتبادل الهدايا. ويستقبل الرعاة من قومية قازاق في مضاربهم النائية المهنئين من القوميات الأخرى كقومية الهان، ويضيفونهم بوجبة «باور شاك» وهي أرغفة مقلية تحتوي على لحوم الغنم وتؤكل باليد، ويقدم للضيوف الشاي بالحليب.

وفي ختام هذا الموضوع يجدر بي أن أشير إلى أن المسلمين في الصين فخورون بإسلامهم متمسكون به. ويلاحظ الزائر لمناطقهم ـ وبخاصة في الصين الشمالية والغربية كمقاطعة تانسو ومنطقة نيغشيا ذات الحكم الذاتي لقومية هوى، ومقاطعة تشنغهاي ومنطقة شينجانغ الويفورية ذات الحكم الذاتي ـ أنهم يمارسون الشعائر الدينية ويحافظون على صلاتهم وزكاتهم وصيامهم ويتطلعون إلى الحج وزيارة مسجد رسول الله ﷺ والسلام عليه. ولكن ضيق ذات اليد تحول بينهم وبين هذا.. وقلنا لهم لقد علم الله ذلك فعذركم، وجعل الحج لمن استطاع إليه سبيلاً. أما زيارة مسجد رسول الله ﷺ والسلام عليه، فقد خفف علينا وعليكم الحبيب المصطفى، وعلم ضعف الكثيرين منا فقال في الحديث النبوي الشريف: «صلوا عليّ أينما كنتم فإن صلاتكم تبلغني» و: «ما من مسلم ولا مسلمة يسلم عليّ في ليل

أو نهار إلا رد الله عليّ روحي فأرد عليه السلام».. وهو ﷺ لا ينساني ولا ينساكم وهو في قبره حيث يستغفر لنا جميعاً: «تعرض عليّ أعمالكم في كل يوم وليلة فما وجدته خيراً حمدت الله وما وجدت غير ذلك استغفرت الله لكم» (الحديث).

ويلاحظ الإنسان كيف ارتبط هؤلاء القوم بمحبة الله عز وجل ومحبة رسوله ﷺ، ومحبة آل البيت والصحابة جميعاً عليهم رضوان الله، حيث يتبادلون ويوزعون في بعض مناطقهم أوسمة وميداليات كتب عليها لا إلّه إلا الله محمد رسول الله باللغتين العربية والصينية.. وهناك مظهر جميل ورائع وهو مشاهدة جموع المصلين وهم يؤدون في مساجدهم صلاة الجمعة، والخطباء يتلون كتاب الله ويذكرون المسلمين بشريعة الله عز وجل.. يربطونهم بمحبة المصطفى عليه الصلاة والسلام.

* * *



الفصل الرابع

معاناة المسلمين في الصين



إن المتتبع لآثار المسلمين في الصين يشعر بفخر كبير، إذ أنهم كانوا دائماً رجالاً صادقين، صدقوا ما عاهدوا الله عليه، وثبتوا حتى في أسوأ الأوقات وفي أظلم العصور وأشد الظروف، وكانت لهم ثورات قوية كما رفضوا أن يخضعوا كل الخضوع، وخصوصاً عندما حاول بعض الخاسرين أمثال لو هيونج الفاسق أن يسيء إلى الإسلام والمسلمين، فنشر عام ١٩٥١ م مقالاً خبيثاً في صحيفة (كونج مينج جيد باد) التي صدرت في بكين، ووصف فيه رسول الله ﷺ بأوصاف قبيحة وغير لائقة. فلم يسكت المسلمون وإنما ثاروا وقاموا بهجوم عنيف حتى اضطرت الحكومة للاعتذار والاعتراف بالخطأ والاعتراف بجهل الناشر. وكانت هذه الموجة من الاعتراض الإسلامي تأكيداً على أن هؤلاء الناس قد صبروا على الأذى والعنت ولكن لم ولن يصبروا على إهانة رسول الله ﷺ أو الهجوم على الدين الإسلامي.

ولقد استمرت هجمات الشيوعيين بعد ذلك على المسلمين وبخاصة على الأئمة والقضاة ورجال الإفتاء. . وقاوم المسلمون ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً.

ولقد كان للمسلمين خلال سنوات الحكم الشيوعي في مراحله الأولى ثورات عديدة. فقد ثاروا عندما وقعت الصين في أيدي القوات الأمريكية معاونـة للقوات اليابانية التي كانت تعاضد امبراطورية الكومنناق وتدعمها.

وعندما قام ماو داعياً للحريات التحررية لطرد المستعمر (حرب الرعاع) كما يسميها أي حرب العصابات، لم يكن يومها سابقاً حركته فأفكاره الماركسية بل كانت قواته تسمى «بجيش الطريق الثامن» و«جيش التحرير»، فقد وجد ماو عطف الأقليات المسلمة آنذاك حيث وقفت بجيوشها ضد المستعمر الياباني.

ويقال هنا إن سر احترام ماو للأقليات المسلمة في عهده الأول بعد التحرير يرجع للمواقف البطولية الجهادية التي وقفتها يوم ذاك، حيث أتاح لهم فرصة ممارسة شعائرهم الدينية، والكتابة بلغتهم، وبخاصة بالنسبة لمسلمي تركستان الشرقية الذين يكتبون لغتهم بالأحرف العربية، ففتحوا المدارس لها وللتعاليم الإسلامية. زد على ذلك المطاعم الخاصة بالمسلمين في

الشوارع العامة في مدن الصين بل وفي داخل المصانع والورش حيث تجد مطعماً خاصاً للمسلمين لا يقدم إلا الحلال، وآخر لغير المسلمين يباع فيه لحم الخنزير.

ولقد ثار المسلمون بقوة خمس مرات خلال السبع سنوات الأولى من الحكم الشيوعي: ثورة بنجليانج في ٨ مايو ١٩٥٠، وثورة كويان في ٢ إبريل ١٩٥٢، وثورة تحصيل الضرائب في خريف ١٩٥٣، وثورة الدفاع عن كيواجبي في ٤ أبريل ١٩٥٨، والثورة المسلمة في الأول من يونيو ١٩٥٠ في شي تاسكا. وكانت جميع هذه الثورات نتيجة للسياسة الشيوعية الظالمة ضد الإسلام والأديان الأخرى، وكل الجماعات التي شاركت في هذه الثورات تعرضت لمجازر إبادتهم.

ويقدر البعض عدد المسلمين الذين اعتقلوا ثم قتلوا بعد ذلك على يد الشيوعيين في العامين الأول والثاني من الحكم الشيوعي بـ ٩٠ ألف شخص، ويقدرهم غيرهم بـ ١٣٠ ألفاً، إلى جانب ٢٦٠ ألف مسلم سجنوا وأرغموا على القيام بأعمال شاقة.

وتذكر «الجزيرة العربية» أن المسلمين ظلوا يتحدون النظام الشيوعي حتى أواخر عام ١٩٧٤. وقد جاءت ردة فعل المسلمين في مقاطعة يونان قوية تجاه بيان أصدرته حكومة

المقاطعة يقضي بحظر عشرة أنواع من النشاطات التي تتصل بالدين. فقد وصل إلى عاصمة المقاطعة كوينج، مندوبون عن كافة أنحاء هذه المقاطعة، حيث نظمت مظاهرة احتجاج في ملعب المدينة ضم حوالي ألفي شخص للتعبير عن عزمهم على القتال إلى النهاية، وأحضر بعض المشاركين في هذا الاحتجاج معهم الأكفان، وانضم مسلمون من مدن عديدة في المقاطعة إلى جملة المحتجين ضد البيان المذكور. لقد فقدت مدينة شاجين في مينجزي أكثر من ألف مسلم نتيجة لإهانة قائد الجيش الصيني. واجتمع المسلمون في مسجد المدينة رافضين تسليم بعض الرجال الذين كان يريد الجيش اعتقالهم.

ولعل من أهم أضرار الثورة الثقافية الكبرى التي لحقت بالمسلمين ما يلي:

١ ـ إلغاء كتابة اللغة المحلية لمنطقة تركستان بالأحرف العربية واستبدالها بالأحرف اللاتينية حتى ينشأ الشباب وهو جاهل بالأحرف العربية ويصعب عليه من ثم معرفة تراث أجداده، وبالتالي يصعب عليه الاطلاع على كتاب الله.

٢ ـ دخول المنازل عنوة وجمع كل المصاحف من المسلمين والقبض على الكبار من الأهالي الذين كانوا يقومون بتدريس القرآن للأطفال، وحرق المصاحف أمامهم على

قارعة الطريق وضربهم وتعذيبهم والتنكيل بهم.

٣ ـ قفل كل المدارس الدينية، ووقف حصص مادة الدين التي كانت تعطي في المدارس الأخرى لأبناء المسلمين، وإغلاق معهد الدراسات الإسلامية بمقر الجمعية الإسلامية ببكين.

٤ ـ تجميد أعمال الجمعية الإسلامية وإبعاد العناصر الخيرة منها، ووضع كل العراقيل أمام أعضائها وتشريدهم من حين لآخر.

٥ ـ إغراء بعض الوجهاء في بعض الأقليات المسلمة بالمناصب القيادية وصرفهم عن ممارسة الشعائر الإسلامية حتى يتأثر العامة بذلك، ويقتلع الدين من جذوره ويتوقف تأثيره فيهم.

* * *

أمثلة في معاناة المسلمين[٧]

لقد رافق الحملات الدعائية المعادية للإسلام مضايقات للمسلمين تمثلت في سوء المعاملة. وباختصار يمكننا أن نستشهد بالأفعال المشار إليها أدناه لبيان معاناة المسلمين في ظل الحكم الشيوعي أيام ماوتسي تونغ وخلال حكم عصابة الأربعة:

١ ـ التدخل في التقاليد الإسلامية، حيث أرغم المسلمون على تعليق صورة ماوتسي تونغ في كل مسجد، علماً بأن تعليق صور البشر للعرض أو حتى رسمها في المساجد محرم في الشريعة الإسلامية. كما دخل الشيوعيون إلى المساجد لنقد الإسلام والتحدث عن الماركسية واللينينية. وأرغم المسلمون على أكل لحوم الخنزير. ومنع العمال من الصلاة يوم الجمعة كما منعوا من أداء الصلوات الخمسة المفروضة كل يوم بحجة أنها تؤدي إلى خفض الإنتاجية في العمل. وأرغمت النساء المسلمات على الزواج من غير المسلمين.

٢ ـ اغتيال الزعماء المسلمين وكانت هناك حالات كثيرة ثار فيها آلاف من المسلمين في أعقاب اغتيال زعماء مسلمين.

٣ ـ تم تحويل آلاف المساجد إلى مدارس (للتعاليم الشيوعية) ومستودعات ومعامل ومسالخ لذبح الحيوانات وحظائر لتربية الخنازير.

٤ ـ في عام **١٩٥١** م انتزع الشيوعيون ملكية جميع المزارع والعقارات التي كانت تمثل مصدراً رئيسياً للدخل لتغطية نفقة النشاطات الدينية.

٥ ـ ركز الشيوعيون على تخريب نظام التعليم الإسلامي الديني ليس، فقط بتدمير المساجد وتحويلها إلى مرافق عمل أخرى، وإنما بانتهاج السياسات التالية أيضاً:

أ ـ ألغى الشيوعيون في عام **١٩٥٢** م نظام الخليفة، وتعني هذه الكلمة في الصين الطالب الذي يدرس القرآن واللغة العربية ليصبح إماماً.

ب ـ ألغيت جميع المدارس الابتدائية الإسلامية وأرغم الأطفال المسلمون على الذهاب إلى المدارس الشيوعية.

جـ ـ تم تعديل مناهج الدراسات الإسلامية حسب وجهة النظر الشيوعية.

د ـ منع طبع القرآن الكريم.

٦ ـ أخيراً عمل الشيوعيون على محاربة الوحدة الإسلامية في الصين من خلال نظرتهم إلى السكان المسلمين على أنهم جماعات منفصلة من الأقليات.

ويمكن أن نلخص تأثير الثورة الثقافية على المسلمين في الصين فيما يلي:

١ ـ كان للحملات المعادية للإسلام والتي تبناها الشيوعيون في هذه المرحلة، تأثيراً مادياً ونفسياً كبيراً على الإسلام وعلى الأئمة بصورة خاصة، وقد بقي المسلمون بدون زعماء دينيين.

٢ ـ إن إغلاق جميع المساجد خارج بكين وتدمير كثير منها واستخدام بعضها كمصانع صغيرة أو مخازن أو حظائر للحيوانات، كل ذلك ترك المسلمين بدون أماكن تجمعهم للعبادة ومناقشة أمورهم. وقد قامت هذه السياسة حيثما كان المسلمون يعيشون في جماعات.

٣ ـ كان للمسلمين قبل الثورة الثقافية الحق في إجازة يومين للاحتفال بأعيادهم الإسلامية (عيد الفطر وعيد الأضحى) ولكن الثورة الثقافية ألغت هذين العيدين.

٤ ـ أرغم المسلمون في زينجيانج (تركستان الشرقية) على استعمال الحروف اللاتينية ثم الصينية بدل الحروف

العربية، وذلك بغرض القضاء على تلاوة القرآن الكريم.

٥ ـ أرغم المسلمون في المناطق ذات الأغلبية الإسلامية والطابع الإسلامي على استبدال ثيابهم التقليدية باللباس الصيني الرسمي وهو السروال الأزرق والرداء الأزرق المسدود.

٦ ـ لم يعد للمسلمين الحق في استلام قطعة القماش الأبيض بطول ١٥ قدماً من الحكومة لاستخدامها ككفن لموتى المسلمين طبقاً للتقاليد الإسلامية.

وتعتبر هذه المرحلة ـ باختصار ـ أسوأ مرحلة في تاريخ المسلمين في الصين. وقد انتهت بموت ماوتسي تونج عام ١٩٧٦ م والقضاء على نفوذ عصابة الأربعة في ذلك البلد.

وبالإضافة إلى ما مضى، فإن المسلمين الصينيين، عانوا وما زالوا يعانون من أمور أخرى على جانب كبير من الخطورة، نجملها فيما يلي:

١ ـ تطبق الحكومة الشيوعية قانون الطفل الواحد لكل أسرة وتستخدم في سبيل ذلك كل وسائل الضغوط الاقتصادية والمعنوية. وتكافأ الأسرة التي تلتزم بعدم الإنجاب للمرة الثانية بمنحها العلاوات، والإجازة من يومين إلى ١٥ يوماً، وتأمين الدراسة للطفل، وإعطائه الأولوية لدخول الجامعة أو المصنع مستقبلاً، علاوة على منحة يحصل عليها

أبواه إلى أن يبلغ الرابعة عشرة من العمر ومقدارها خمسة يوان في الشهر أي ما يعادل أجر يومي عمل. لكن المصيبة الكبرى تحل بالأسرة الملتزمة بعدم الإنجاب إذا حملت الأم ورفضت الإجهاض فعليها أن تسدد مبلغ (منحة الطفل الواحد) التي حصلت عليها طيلة السنوات السابقة على الحمل الثاني، الأمر الذي يتعذر على العمال والفلاحين الفقراء الذين ليس لهم خيار آخر. كما يحرم الطفل الثاني من جميع حقوق المواطن في التعليم والعمل وغيرهما. وهذه المأساة تتجلى في الريف بصفة خاصة. فالفلاح الذي يصر على الرغبة في إنجاب ابن، يعمد إلى قتل ذريته من البنات إلى أن يولد له ابن ذكر، وعملية الوأد هذه تتم بالخنق عقب الولادة أو بالإغراق في الأنهار.

وبالرغم من أن الحكومة الصينية لا تطبق قانون الطفل الواحد لكل أسرة على أفراد الأقليات القومية ومنهم المسلمون تطبيقاً عملياً، إلا أنها تستخدم ضغوطاً معنوية ومادية عليهم في سبيل تحديد النسل، وذلك بتحقير الأسرة التي تنجب أطفالاً كثيرة علناً، وتضييق فرص التعليم والعمل لأبنائها وهذا سر ارتفاع البطالة والجهل بين المسلمين.

٢ ـ مع أن دستور جمهورية الصين الشعبية في جميع مراحل تعديله وتنقيحه، وحتى في عهد جنون الثورة الثقافية، كان يؤكد على الحرية الدينية تماماً مثل دساتير بقية الدول الشيوعية الأخرى التي تسود صفحات دستورها بذلك، إلا أن الدستور الجديد الذي أقره مجلس الشعب الصيني في دورته الخامسة المنعقدة في الرابع من ديسمبر ١٩٨٢ م يحتوي على تحفظات من أهمها ما يلي:

أ ـ تنص المادة ٣٦ من الدستور على أنه لا يجوز لأي أحد أن يستخدم الدين في نشاطات تؤدي إلى إزعاج العام أو الأضرار بصحة المواطنين أو التدخل في النشاط التعليمي الحكومي. والهيئات الدينية لا تخضع مطلقاً لأية سيطرة أو تدخل أجنبي.

إن مثل هذا النص يمكن تأويله وفقاً للظروف والأحوال. وفضلاً عن أنه يحصر الإسلام في العبادات وحدها، فإنه من الممكن تفسير العلاقات الثقافية الإسلامية مع الدول الإسلامية على أنه تدخل أو سيطرة أجنبية. ومع ذلك فإن هذا مستبعد في ظل الظروف الراهنة في الصين حيث منح المسلمون حريات أوسع لممارسة شعائر دينهم، كما

أنه تبين لنا من زياراتهم أنهم زاهدون في إثارة المشاكل السياسية، ويرون أن سياسة الحكومة الحالية جديرة بالتشجيع.

ب ـ تنص المادة ٢٤ على أن الدولة تعمل على بناء الثقافة الروحية الاشتراكية من خلال نشر التعليم في المثاليات والأخلاق والتعليم العام والأدب والنظام، كما تعلم الحكومة الناس: الوطنية والجماعية والعالمية والشيوعية والجدلية والتاريخية والمادية (وهذه نظرية إلحادية)، وتحارب الرأسمالية والإقطاعية وغيرهما من الأفكار الضارة.

ومع أن هذه المادة الأخيرة تشير إلى إمكانية التعليم الديني بما تعكسه كلمة الروحية من معنى، وهي كلمة شاذة في المجتمع الماركسي، لكن هذه الإمكانية تتلاشى مع الفقرة الموجودة في المادة (٣٦) التي تقضي «بعدم التدخل في النشاط التعليمي الحكومي». وهذا تقييد لحرية المؤمنين في التبشير بدينهم أو الدعوة إليه على نطاق واسع، وبالتالي يتوقع أن يكون لهذا الدستور أثر سلبي على عمليات الدعوة الدينية في الصين بشكل عام، وسينظر إليها

على أنها تحريض على أعمال التخريب ونشاط غير مشروع ضد الثورة تحت ستار الدين، بيد أن الأمل كبير في تفهم المسؤولين الصينيين لطبيعة الدين الإسلامي.

٣ ـ لا يسمح في الصين بتلقي الشباب القاصر تعاليم أي دين، وهذا ينطبق على الإسلام. لهذا فإنه غير مسموح لمن كانت سنه أقل من ١٨ سنة، أن يؤدي شعائر دينه علناً، ولا أن يرتاد المساجد أو يتلقى التعليم الإسلامي.

ويقتضي الأمر ـ تصحيحاً للأوضاع ـ أن يوضح قادة الجمعية الإسلامية الصينية للسلطات الحكومية، أن الدين الإسلامي دين منطق وعقل، فهو لا يؤدي إلى إفساد عقول الشباب أو إلى تخريب التعليم الحكومي، مثلما يدعى البعض.

٤ ـ إن الجمعية الإسلامية الصينية ـ التي تأسست عام ١٩٥٣ وأسلفنا الإشارة إليها من قبل ـ ليست كما يفهم من اسمها أنها هيئة شعبية، بل هي هيئة رسمية، يشرف عليها موظفون عموميون، وبالرغم من أن هؤلاء المشرفين مسلمون حسنو الإسلام، إلا أن النشاط الديني بأنواعه يخضع لإشراف أجهزة حكومية على رأسها رجال دولة

معظمهم ملحدون ولا يستطيعون بحكم تكوينهم تفهم روح الإسلام، الأمر الذي يحد من نشاط الجمعية ويعرقل بعض أعمالها.

٥ ـ أما عن تركستان الشرقية فحدث ولا حرج، فقد أصابها من جراء الحكم الشيوعي الكثير من الأضرار، ذلك باعتبارها ذات أغلبية عظمى إسلامية ومن أمثلة ذلك ما يأتي:

أ ـ تعرضت تركستان الشرقية إبان الحكم الشيوعي إلى تغييرات جذرية منذ عام **١٩٤٩** م حين بدىء في سياسة «تصيين البلاد» إذ تم تهجير الصينيين البوذيين من «الهان» إلى تركستان الشرقية وإعادة توطينهم بها. **وبذلك نقصت نسبة المسلمين من ٩٠٪ عام ١٩٤٩ م إلى ٥٣٪ في عام ١٩٨٣ م ثم إلى ٥١٪ حالياً.**

ولا زالت الحكومة تواصل عمليّة تهجير الصينيين من مختلف المقاطعات إلى تركستان الشرقية وتعمل على توطينهم بها، بقصد إذابة المسلمين في غيرهم ممن لا يدينون بدين الإسلام، وحتى يصير البوذيون أغلبية في تلك المقاطعة التي هي تركية الأصل إسلامية الدين.

ب ـ تحكم تركستان الشرقية ـ وهي متمتعة بالحكم الذاتي شأنها شأن المقاطعات الصينية الأخرى ـ بواسطة لجنة منبثقة عن الحزب الشيوعي الصيني. لهذا فإن المناصب الهامة في هذه المقاطعة لا يتولاها إلا الشيوعيون، وأغلبهم من أصل «هان»، ولا تضم اللجنة سوى اثنين فقط من المسلمين لا تأثير لهم في الأغلبية الملحدة البالغ عددها ١٨ مسؤولاً.

والسلطة السياسية بعيدة المنال بالنسبة للمسلمين من التركستان، لدرجة أنه لا يسمح لهم بالتعبير عن حقوقهم. والذي يتكلم منهم ـ ولو همساً ـ يوصف بالمخرب والمناوىء والمبشر بالإسلام وغير ذلك. فمثلاً يوجد ١٥٠٠٠ مسلم حكم عليهم بالأشغال الشاقة ووضعوا في معتقل «بايلو» في صحراء «تكلامكان» بسبب تهم لفقت ضدهم. وهم يعاملون معاملة المجرمين لا معاملة المعتقلين السياسيين، ولا يفرج عن أحدهم إلا بتوصية من الحزب الشيوعي ـ وهذا أمر نادر ـ لذلك فقد حكم عليهم بالبقاء طوال حياتهم بذلك المعتقل.

جـ ـ عانى المسلمون في تركستان الكثير من الجور على

أيدي الحكومة الشيوعية، ففي أثناء قيام الحزب الشيوعي بتطبيق ما يسمى بحملة الكميونات والقفزة الكبرى إلى الأمام، قامت الحكومة بمصادرة أراضيهم وممتلكاتهم من الماشية والحيوانات وأغلقت الأسواق، ولم تلق الحكومة بالاً لتقاليدهم وسبل معيشتهم في الحياة، فاقتادتهم إلى الكميونات حيث سخروا للعمل تحت إشراف مسؤولين من الصينيين الهان.

د ـ أسندت مهمة تطوير الزراعة في تركستان الشرقية إلى سلاح الإنشاء والإنتاج والمشكل من ٢,٢ مليون عضو. وهو عبارة عن تنظيم شبه عسكري يتبع نظاماً صارماً و ٩٠٪ من المسؤولين فيه من الصينيين الـ «هان» المسيطرين على العمال الذين هم من أصل تركستاني، والذين بالرغم من الأشغال الشاقة فإنهم لا يتساوون بالصينيين في الرواتب. وإذا ما طالبوا بأجور أحسن، فإنهم يرحلون إلى معسكرات الأعمال الشاقة. وطبقاً للتقارير الواردة مؤخراً، فإن ساعات العمل بالنسبة لهم قد زادت من ٨ إلى ١٠ ساعات يومياً في حين أن مقررهم الشهري من التموين قد انخفض من ٣٠ إلى ٢٥ كاتي للشخص

الواحد. (الكاتي = ١ رطل).

كذلك فإن القطاع الصناعي يقع تحت إشراف سلاح الإنشاءات والإنتاج. ويحتل الصينيون الهان المراكز المهمة في هذا السلاح مثل: القائد، نائب القـائد، المفوض السياسي، مساعد المفوض السياسي.

هـ - مما يلاحظ ويلفت النظر بشدة، أن عدد العمال الـ «هان» آخذ في الازدياد، ففي عام ١٩٥٥ م كانوا يشكلون ٦٦٪ من القوى البشرية وارتفعت هذه النسبة لتصبح ٧٥٪ في عام ١٩٦٥ م ثم في عام ١٩٧٣ م ارتفع الرقم إلى ٧٨٪ ويعتقد أن ٩٠٪ من القوى البشرية حالياً هم من جماعة الهان.

أما المسلمون فلا يقومون إلا بالأعمال التي تعد أدنى مرتبة من طبقة العمال.

د - من الوجهة العسكرية، نجد أن نسبة وجود العناصر الإسلامية في المواقع المهمة في القوات المسلحة هي صفر بالمائة تقريباً، ونفس الشيء للرتب الأقل شأناً. لهذا فهم أقل بكثير عن نسبة تعدادهم السكاني. والأسوأ من ذلك هو أن البعض ممن انخرطوا في العديد من الفروع، لا يعينون في مراكز مهمة بسبب عدم ثقة الحكومة الصينية فيهم. كما تتم مراقبتهم

بواسطة مشرفين من غير المسلمين (هان) ولا شك في أن استمرار هذا الوضع في المنطقة لا يساعد في الدفاع عنها في حالة تعرضها لأي هجوم خارجي.

ز ـ اعتبر الشيوعيون أن الدين هو العقبة الرئيسية في طريق انتشار وازدهار الشيوعية. وعندما تولى الشيوعيون السلطة نظروا إلى المواطنين المسلمين من وجهة نظرتهم هذه، وبدأوا حملة خاصة في فترة الثورة الثقافية (١٩٦٦ ـ ١٩٧٦ م) وذلك في محاولة منهم للتخلص من الدين الإسلامي متخذين عدة إجراءات لتحقيق ذلك، ومنها الآتي:

ـ تم إغلاق المساجد في مدن وقرى تركستان الشرقية.

ـ أغلقت المساجد والمعاهد الدينية في منطقة ـ عربان ـ ومن ثم استعملت مكاتب للحزب، وثكنات ومسالخ.. الخ، كما تمت مصادرة الممتلكات الموجودة فيها.

ـ ألغيت محاكم القضاء التي أنشئت في عامي ١٩٣٣ ـ ١٩٣٤ م أيام جمهورية تركستان الشرقية الإسلامية، وتم إنشاء محاكم شعبية عوضاً عنها.

ـ تم إتلاف جميع نسخ القرآن الكريم وكتب الحديث

وبعض الكتب الدينية الأخرى.

- تم اعتقال أئمة المساجد وتعذيبهم ثم إجبارهم على تنظيف الشوارع ودورات المياه. وطلب من بعضهم تربية الخنازير ثم أجبروا على أكل لحومها.

وقد سببت هذه الإجراءات معارضة المواطنين المسلمين الذين ضحوا بالكثير في السابق من أجل دينهم، واعتبر الشيوعيون ذلك خيانة وطنية، مما أدى إلى مقتل ٣٦٠,٠٠٠ مسلم على يد الحرس الأحمر، كما فر حوالي ١٠٠,٠٠٠ إلى جمهوريات آسيا الوسطى «تركستان الغربية» كما أرسل ٥٠٤,٠٠٠ مسلم إلى ١٠ معسكرات للأعمال الشاقة وتم إطلاق سراحهم بعد قضاء فترة العقوبة المتفاوتة، وبعد تغذية أفكارهم سياسياً.

ح - لكي تتمكن الحكومة الشيوعية من حرمان المسلمين من حقوقهم السياسية، فقد صنفتهم على أنهم من الدرجة الثالثة، كما كانوا ينادونهم بأسماء فيها سخرية، مثل «أصحاب العمائم». وصورهم الكتاب الصينيون على أنهم «برابرة»، واتهموهم ظلماً وعدواناً بكل الأعمال غير الإنسانية.

ط - يعاني المسلمون هذه الأيام من التمييز العنصري من

قبل «الهان» الذين ـ فضلاً عن أنهم يلاقون معاملة متميزة ـ فإنهم يعاملون المسلمين كالعبيد، ويأمرونهم بإظهار الاحترام المفرط لهم كما لو كانوا خدماً خاصاً بهم. وإن هذا التمييز العنصري قد أتى بأثر سيء على الروح المعنوية للمسلمين الذين يشهد لهم تاريخهم المجيد وأصلهم العريق بالبسالة والكرامة والعزة.

وفي الخلاصة نجد أن الحكم الذاتي لتركستان الشرقية ليس حكماً ذاتياً كاملاً كما كان مفهوماً عند إعلانه. فهي لا زالت تحت سيطرة الحكومة المركزية عن طريق الحزب الشيوعي الذي يهيمن عليه (الهان).

ومع ذلك فإن أهل التركستان الشرقية صبروا وجالدوا وتمسكوا بدينهم. شأنهم شأن الأقليات المسلمة في كافة أنحاء الصين. لقد حفظوا الأمانة قروناً عديدة، وإن فرج الله لآت، ولعل في السياسة الجديدة للحكومة الصينية الحديثة ما يفرج الكرب ويكشف الغمة. فالانفتاح السياسي والثقافي والاقتصادي سوف يتضمن انفتاحاً دينياً ما دام لا يتعارض مع المصلحة العليا للدولة والتي تتلخص في العمل على مزيد من الإنتاج. والإسلام هو دين الإنتاج والعمل ﴿ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ﴾.

الفصل الخامس

الصين...
والخطوات القادمة [*]

سبحان الله عز وجل، المتصرف في هذا الكون، يفعل ويقضي ما يريد، وهو في جميع الأحوال غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

ولقد مرت بالأخوة المسلمين في الصين ظروف عصيبة، وعانوا من كوارث كبيرة، وضغوط عديدة. ولكن لطف الله عظيم، حيث بدأوا يتنفسون الصعداء بعد طول قهر واضطهاد وقسوة. ومنذ بدأ الانفتاح استطاع المسلمون في الصين أن يعيشوا حياة أفضل وأكرم من ذي قبل، حيث أخذوا يمارسون حياتهم الطبيعية، ويؤدون شعائرهم الدينية.

ولعل أبرز المظاهر الجديرة بالتقدير اليوم، اعتراف الدولة بحقوق الإنسان وإنسانية الناس، وإباحة الملكية الفردية في بعض المجالات، وتلك النظرة الجديدة إلى الدين على أنه حافز للعمل وزيادة الإنتاج والحث على مكارم الأخلاق.

ولا شك أن المتتبع لواقع الصين وسياستها اليوم، يحس بهذا الاتجاه القوي نحو الدول العربية والإسلامية.

وهنا يأتي السؤال الهام: لماذا هذا الانفتاح؟ وما هي أبعاده؟ .

لمـاذا ينفتحون علينـا ؟

يبرز اليوم سؤال مهم: لماذا تنفتح الصين الشيوعية على العالم بعامة، وعلى دول العالم النامية بخاصة وعلى العالم العربي والإسلامي بصفة أخص؟.

لقد تردد هذا السؤال على مسامعي كثيراً منذ فترة من فئات مختلفة من الناس، وبخاصة عندما اقترب موعدنا للسفر إلى بكين، فالكل يسأل ما هي أبعاد هذا الانفتاح؟ ولماذا هذا التغيير؟.

وارتفعت أصوات تنادي بالحذر، وأصوات أخرى تنادي بالتحسب لأبعاد هذا الانفتاح؟ وأصوات غيرها تخوف منه وتتهيب. والحق أني لا أرى داعياً لكل هذا التخوف، لأن العالم يتقارب أكثر فأكثر. وهناك الكثير من الدول والكتل التي عزلت نفسها عن العالم، أو عزلها العالم في يوم من الأيام، ولكن الصورة تغيرت، والتطور المستمر وثورة الاتصال قربت الناس من بعضهم وفرضت حدوداً ضرورية للاتصال والانفتاح. وكثير من الدول التي انعزلت في السابق. أحست بخطئها وأدركت أهمية التفاعل مع دول العالم الأخرى. ولا أدل على

ذلك مما يحدث في روسيا اليوم، وقد أخذت تمد يدها في إغراء نحو أمريكا ودول أوربا الغربية باندفاع لا يخطئه المراقب العادي، وكذلك فعلت بعض دول الكتلة الشرقية، وجاءت الصين لتلتحق بالركب.

فهذا إذاً أمر متوقع وله دوافعه وأهدافه وأغراضه. ولهذا فيجب أن نرحب به ونتعامل معه، لأنه مجال واسع للاتصال والمواصلة مع ملايين من إخواننا المسلمين هناك، ويتيح لنا فرصاً مناسبة لعونهم على الاستمرار، خصوصاً بعد موجات الاضطهاد والتعسف التي مروا بها والتي كادت تؤدي إلى تركهم لدينهم، بعد أن امتحنوا فيه امتحاناً بل امتحانات عظيمة، وصبروا وجاهدوا وحافظوا عليه وعضوا عليه بالنواجذ، وقبضوا عليه كالقابض على الجمر. فلماذا نضيع مثل هذه الفرص التاريخية؟ ولماذا لا نستفيد من هذا الانفتاح حتى ولو كانت له أهداف اقتصادية؟ إن هذا لا يمنع من أن نتعامل مع هذه الأهداف، ونربط المسلمين الصينيين بنا، ونستعمل قدراتنا الاقتصادية كوسائل لتكوين علاقات اقتصادية تعود بالنفع علينا وعلى أشقائنا هناك، وتنتفع بها الصين ككل، وينتفع بها عالمنا الاقتصادي. بهذا نكون قد وظفنا قدراتنا الاقتصادية التوظيف الصحيح: ديناً ودنيا.

وأما المخاوف من التيارات العقائدية والثقافية والفكرية بعامة، فهذا أمر ينطبق على جميع من نتعامل معهم شرقاً وغرباً، والكل يتمنى أن ننفصل عن ديننا أو عن شبابنا فيخطفوه من بين أيدينا.

فالكل له أهدافه، وله أغراضه، والكل يتمنى أن يغزونا في عقر دارنا، والكل لا يرضى ولن يرضى عنا حتى نتبعه ونخضع له بأي شكل من الأشكال ﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ﴾ صدق الله العظيم.

ولكن المسألة تتوقف علينا نحن، لأن الفاعل شيء والقابل شيء آخر. وإذا لم يكن لدينا الاستعداد، وإذا لم يكن فينا ضعف وفقدنا المناعة، فإنهم لن يقدروا علينا.

أما إذا ضعفنا واستهنّا، فإن البلاء إنما يبدأ منا ومن داخلنا، ومن جهلنا المفرط بكل حقائق الدنيا وصراع الأمم.

ومن الغفلة أن نعتقد أن أي عدوّ لأمتنا سيكون أرحم من الآخر، ولكن من لا يرحم نفسه فلن يرحمه الناس. ولهذا فدعونا نرحب بهذا الانفتاح ونتعامل معه ونستفيد منه ونوظفه لخدمة مصالحنا في داخل الصين، على أسس من الاحترام والتعامل الكريم، ﴿ والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾.

وَلماذا ننفتح نحن عليهم ؟

يبدو السؤال هنا مهماً جداً. فانفتاحهم كما ذكرت له أسبابه، ولا شك أن إقبالنا له أسبابه ومبرراته أيضاً.

ولكن الأهمية الأصلية لانفتاحنا تأتي من ناحية أن هناك قضية، بل قضية مهمة وهي قضية هؤلاء المسلمين في الصين الذين أهملناهم لسنوات طويلة ونسيناهم لسنوات طويلة أيضاً. وعلى عكس عادة الأمم التي تهتم بالأقليات التي لها في العالم، أهملنا نحن هذه الأقلية الإسلامية في الصين، وما هم بأقلية إذا لاحظنا ذلك العدد الكبير لمسلمي الصين. فهم إذا أكبر أقلية في العالم، في الوقت الذي تستخدم فيه الأقليات كسلاح سياسي تلجأ إليه كثير من الدول في العالم، كاستخدام إسرائيل للأقلية اليهودية في الولايات المتحدة الأمريكية، واستخدام اليابان للأقلية اليابانية في الصين في الثلاثينات من هذا القرن. والدول العربية على ما يبدو لم تدرك بعد أهمية مثل هذا

السلاح. أما بالنسبة للحكومة الصينية الشيوعية فإنها تستخدم الأقلية المسلمة في الصين اليوم لإقامة علاقات أفضل مع الدول العربية وكذلك مع الدول الإسلامية الأخرى.

فهذه إذاً أقلية من واجبنا الاهتمام بها ورعايتها والارتباط بها، وتفهم أوضاعها وإمكاناتها، خصوصاً وأنه من الممكن جداً تشجيعهم ودعمهم، لأن مناطقهم ـ وخاصة في تركستان الشرقية ـ يعتمد اقتصادها على الزراعة، وتشتمل على كثير من المحاصيل المهمة مثل الأرز والحبوب بعامة والقطن والتبغ وكثير من أنواع الفواكه، ولديهم مزارع كبيرة لتربية الماشية وخصوصاً الأغنام والأبقار، ولديهم كميات من الجمال، ولهم نشاطات مهمة في مجال التجارة. والشيء الأساسي الذي ينقصهم هو الصناعة، ومرد ذلك إلى ضعف قدراتهم التمويلية مع أن لديهم قدرات معدنية مهمة، فعندهم البترول ورواسب اليورانيوم والثوريوم وبعض المواد المشعة. فهم إذاً مهيؤون لتقدم صناعي كبير وتنمية اقتصادية شاملة، إذا ما نحن مددنا أيدينا إليهم وأشعرنا الحكومة الصينية باهتمامنا هذا، واستجبنا للدعوة للاستثمار لديهم وربطنا ذلك بهدفنا الكبير وهو التواصل مع هذه الكتلة الإسلامية الكبرى التي تهمنا ويهمنا مستقبل أبنائنا منهم هناك.

وكما قلت سابقاً فإنه مهما كان السبب الكائن وراء إقبال الصين الشعبية علينا، وعلى دول العالم الثالث ككل، فإن لنا مصلحة أساسية للاستجابة. ولا شك أن تنبه الصين لأهمية دول العالم الثالث والدول العربية والإسلامية بصفة خاصة، جاء من منطلق أساسي، وهو أن هذه الدول تشكل جزءاً مهماً من العالم، وأن أهميتها تزداد يوماً بعد يوم، وأصبحت للأمة الإسلامية أدوار مهمة في اقتصاد العالم، ولم يأت ذلك اعتباطاً، بل نظراً لما تتمتع به من قوة اقتصادية، فمعظم دول أوبك هي دول إسلامية.

ويؤمل الصينيون كذلك في أن يستفيدوا من السوق العربية والإسلامية لتصريف منتجاتهم. وهم يأملون كذلك في الاستفادة من الموارد المالية المتاحة لدى هذه الدول للدخول في مشروعات مشتركة من شأنها دعم اقتصادهم وتوفير مجالات عمل للأيدي العاملة الفنية.

هذا، وليس ثمة من شك في أن الصين الشعبية ستبرز على المسرح الدولي في المستقبل القريب ـ مثلما أجمع عليه خبراء السياسة والاقتصاد ـ كقوة عظمى، ومن واجبنا أن نتخذ من الصين دولة صديقة، لعلها توجد توازناً بين القوتين العظيمتين اللتين تتحكمان في مصائر العالم اليوم.

ومما يشجع على ذلك أن الحكومة الجديدة في الصين، قد كسرت القاعدة التي تلزم بأن يكون أعضاء الحكومة كلهم من الحزبيين الشيوعيين، فعدلت تلك السياسة بأن فتحت الباب أمام الفنيين من جميع التخصصات لتولي المناصب الوزارية التي ظلت في يد أعضاء الحزب الشيوعي ما يقرب من أربعين عاماً. ولا شك أن هؤلاء الفنيين سيكونون أكثر تسامحاً من أسلافهم في الحكومات السابقة.

وخلاصة الأمر، أن هناك مصالح مشتركة ومغرية للتعامل مع الصين، ولا بد من نظرات جادة نحوها وخطوات واعية ومدروسة حتى تتحقق الأهداف التي نرمي إليها، لخير ديننا ودنيانا.

بيد أنه من المهم أن ينتهز المسلمون في الصين الفرصة المهيأة لهم اليوم، فيضعوا خطط العمل الكفيلة بخدمة الإسلام وفي ذات الوقت خدمة الحكومة الصينية والشعب الصيني، على أن يخطط لذلك العمل تخطيطاً واعياً ذكياً، يراعى ظروف الواقع الصيني من جوانبه السياسية والاجتماعية والثقافية، ويتجنب ما قد يثار من تخوف أو شك عند المسؤولين الصينيين تجاهه، ويتحاشى رد الفعل الطبيعي الذي قد يحدث عند تقديم أسلوب جديد للعمل.

والحق.. أن المسلمين في العالم قد أهملوا الصين ردحاً طويلاً من الزمن، فبعد أن وصل الإسلام إلى الهند وجنوب شرقي آسيا، توقف المد الإسلامي وانشغل المسلمون بمشاكلهم الداخلية ومقاومة الاستعمار الصليبي، تاركين تلك الأرض الخصبة المستعدة لتقبل الإسلام بروح من الرضا والسماح، تلك الأرض التي قامت عليها حضارات عريقة لها طابع ثقافي عميق الجذور في التاريخ. فلم ينتشر الإسلام ـ هذا الانتشار المحدود في الصين ـ إلا عن طريق بعض الجهود الفردية، وعن طريق الأتراك المسلمين الذين ضمت أوطانهم إلى الصين الكبرى، وعن طريق الملوك المغول الذين اعتنقوا الإسلام.

واليوم نجد في السياسة الجديدة للحكومة الصينية ما يشجعنا على انتهاج أسلوب جديد لنشر دعوة الإسلام في تلك البلاد. وتلك فرصة يجب اغتنامها، وإذا لم نسارع إلى ذلك فإنها قد لا تأتي أبداً في المستقبل القريب.

إن الحكومة الصينية والحزب الشيوعي الصيني، يضعان في اعتبارهما هدفاً استراتيجياً هو زيادة الإنتاج. وليس هناك دين على وجه البسيطة يقدس العمل الصالح المنتج ويحث عليه، مثلما يفعل الإسلام. فليكن هذا مدخلنا إليهم، باعتبار أن الإيمان في الإسلام مقرون بالعمل الصالح، وأن الإسلام يعمل

على نشر المثل العليا والأخلاق الفاضلة عن طريق عقيدة التوحيد.

هذا، وقد لا يصلح العمل على نشر دعوة الإسلام بشكل مباشر في ظل الظروف السائدة اليوم، لهذا فإنه من المستحسن أن يتم التعاون الإسلامي الصيني في ثلاثة اتجاهات: أحدها ثقافي والثاني اقتصادي والثالث هو العمل على رفع مستوى المسلمين الصينيين بشتى الوسائل والأساليب.

أولاً ـ التعاون الثقافي:

من المناسب ـ في رأيي ـ أن يبدأ التعاون الثقافي مع الصين الشعبية في أربعة مجالات، هي مجال تأليف الكتب وترجمتها ونشرها، ومجال تعليم اللغة العربية والدراسات الإسلامية، ومجال الإعلام، ومجال الندوات والمؤتمرات المشتركة وتبادل الزيارات الثقافية.

ففيما يتعلق بمجال **تأليف الكتب وترجمتها ونشرها**، فإنه من الواجب أن نعمل على ما يلي:

١ ـ تزويد مكتبات المؤسسات المعنية بدراسة اللغة العربية والعلوم الإسلامية والحضارة الإسلامية في الصين، مثل مكتبة معهد بحوث الحضارة العربية والإسلامية،

ومكتبات الجمعية الإسلامية الصينية وفروعها، بالكتب والمراجع الإسلامية.

٢ ـ ترجمة بعض الكتب والمؤلفات الإسلامية إلى اللغة الصينية.

٣ ـ تأليف بعض الكتب باللغة الصينية في مجال الحضارة الإسلامية والتاريخ العربي والأدب العربي.

ومن المفيد تشكيل لجنة عربية صينية لاختيار أهم الكتب التي ينبغي ترجمتها أو تأليفها، ولدراسة وسائل تمويل هذا المشروع الثقافي الهام.

أما فيما يتصل **بمجال تعليم اللغة العربية والدراسات الإسلامية** فإن التعاون في هذا السبيل يمكن أن يتخذ صوراً كثيرة، بيد أن أهم ما يمكن عمله من واقع زيارتنا للأشقاء هناك ما يلي:

١ ـ التوسع في توفير المنح الدراسة للطلاب المسلمين الصينيين في مختلف الجامعات الإسلامية في العالم العربي والإسلامي.

٢ ـ إيفاد عدد من مدرسي اللغة العربية والدراسات الإسلامية إلى الصين للمشاركة في تدريس اللغة العربية والعلوم

الإسـلامية في جـامعة بكـين وفي المعاهـد والمـدارس الإسلامية.

٣ ـ تدريب المدرسين الصينيين في مجال تعليم اللغة العربية والدراسات الإسلامية، وذلك عن طريق إعداد دورات تدريبية لهم تشترك فيها المؤسسات العلمية المتخصصة في العالم العربي والإسلامي.

٤ ـ تمويل بعض الكتب الدراسية المطلوبة لتعليم اللغة العربية والعلوم الإسلامية، سواء كانت مؤلفة باللغة العربية أو باللغة الصينية.

٥ ـ تقديم بعض الوسائل التعليميـة السمعية والبصـرية، ومعامل لتعليم اللغة العربيـة لجامعـة بكين والمعـاهد والمدارس الإسلامية الصينية.

أما في **مجال الإعلام**، فإنه لا بد من العناية بالبرامج الإذاعية الموجهة إلى شرقي آسيا ـ وبخاصة إلى الصين، وربما يكون من المناسب اختيار موقع ملائم قريب من التجمعات الإسلامية هناك، بغرض ربط هؤلاء الأشقاء بنا. وربما يكون من المناسب أن تكون في بلد مثل باكستان بالقرب من الحدود الصينية.

كذلك فإنه من المناسب إعانة الإذاعات العربية والموجودة حالياً داخل الصين وتقويتها ودعمها مالياً ومدها ببرامج تحقق

هداف نشر الدعوة وبما لا يتعارض مع سياسة الحكومة لصينية.

وأما فيما يتعلق **بمجال الندوات والمؤتمرات المشتركة وتبادل لزيارات الثقافية** فيجمل بنا أن نشير إلى أن مؤتمر الدعوة والدعاة الذي عقد في ديسمبر ١٩٨٧، كان فاتحة خير وبداية طيبة للخطوات التي يمكن اتخاذها في هذا المجال وقد تم الاتفاق من حيث المبدأ على عقد ندوتين علميتين بجامعة بكين بالتعاون مع المؤسات العلمية الإسلامية: أولاها عن الحضارة الإسلامية، والثانية عن وسائل تطوير تدريس اللغة العربية في الصين.

ومن المقترح أن تتولى رابطة العالم الإسلامي التخطيط للندوة الأولى بالتنسيق مع كل المؤسسات العلمية والثقافية الإسلامية من ناحية، ومع جامعة بكين من ناحية أخرى، وتشكل لجنة مشتركة لوضع برنامج الندوة واقتراح موضوعاتها التفصيلية والاتصال بالباحثين مع تدبير الموارد اللازمة للتمويل.

أما الندوة الأخرى فيمكن أن تشكل للإعداد لها لجنة مشتركة من جامعة بكين والمؤسسات العلمية والعربية المهتمة

بتدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها، مثل معهد اللغة العربية بجامعة أم القرى، ومعهد اللغة العربية بالرياض، ومعهد اللغة العربية بالخرطوم، ومعهد اللغات بالجامعة الإسلامية العالمية بإسلام أباد، على أن يكون هناك لجنة تنفيذية في إحدى هذه المؤسسات تكون مهمتها الاتصال بالمؤسسات الأخرى والتنسيق بينها.

هذا، ولا بد من تواجد فعال للمؤسسات الإسلامية الكبرى، وخاصة رابطة العالم الإسلامي والتي استقبل الصينيون وفدها بترحاب كبير وأبدوا رغبة طيبة للتعاون معها، وكذلك الأمر بالنسبة للأزهر الشريف، والجامعات الإسلامية وندوة الشباب الإسلامي، والمؤسسات الإسلامية الأخرى، بحيث يكون ذلك بصور جيدة وفعالة تتيح وضع خطط واعية وعملية ممكنة التطبيق للتعامل الثقافي مع الصين. ذلك لأن الحكومة الصينية تحبذ التعامل مع مؤسسات الدول الإسلامية وتفضله على التعامل الفردي.

ومن المهم الاستفادة من ترحيب الحكومة الصينية بالبعثات والوفود الإسلامية، وما تبديه من شعور طيب نحو الإسلام والمسلمين، فهذا هو الوقت الملائم للعمل الإسلامي، ولا ينبغي لنا أن نفلت هذه الفرصة.

كذلك فإنه من واجبنا أن نوسع قاعدة معارفنا ودراساتنا عن هذه البلاد العريقة وأحوالها وظروفها الاقتصادية، حتى نكون على بينة من ذلك ونحن نتعامل معها. ولا بد من مد أياد قوية وواعية وحذرة ومتفهمة لأبعاد التعاون الثقافي مع تلك البلاد.

ثانياً ـ التعاون الاقتصادي:

تمثل الصين قوة اقتصادية هائلة، فهي تزرع الأرز والقمح والقطن وتربي الأغنام والدواجن بكثرة، كما أن بها ١٣ حوضاً للفحم و٣ مناطق لآبار البترول، و٤ مصاف للبترول، وتستخرج الحديد والنحاس والتنجستين والأنتيمون وبها صناعات الحديد والألمنيوم والكيماويات والنسيج وبناء السفن والصناعات الغذائية، فضلاً عن الصناعة الميكانيكية والكهربية والإلكترونية[1].

لهذا لا بد من العناية ببرامج التبادل الاقتصادي مع الصين وفتح قنوات للتعامل بينها وبين العالم الإسلامي، وتؤكد المصالح المشتركة والفرص المتاحة ومجالات العمل ذلك الأمر.

ومن أهم أوجه التعامل، الاستثمار في المناطق الإسلامية. وقد رحب المسؤولون الصينيون بذلك بصفة أولية بشرط أن

---

(١) الأطلس الجديد للعالم، دار الكتاب اللبناني، بيروت.

يكون الاستثمار على أسس اقتصادية صحيحة. فيمكن إقامة مؤسسة إسلامية للاستثمار تعنى بمنتجات الصين، وتكون أداة طيبة للتعاون الاقتصادي معها، وعقد الصفقات الخاصة بتبادل المنتجات الصينية. كذلك فإنه من المفيد افتتاح بنك إسلامي في الصين يتعامل وفقاً لأحكام الشريعة الإسلامية، ويجتذب الودائع من صغار المدخرين، وينمي الوعي الإدخاري عند المسلمين. ويسهم في تحقيق الرفاهية للصينيين أياً كانت توجهاتهم.

وفضلاً عن هذا، فإنه من المهم العمل على اجتذاب جزء من العمالة اللازمة للمنطقة العربية، بحيث تكون من سكان المناطق الإسلامية بالصين، وبهذا نعمل على الاستفادة من العمالة الرخيصة نسبياً، ونسعى لتحسين دخول الأسر المسلمة هناك، ومن ثم تحسين أوضاعهم المعيشية.

ثالثاً ـ العمل على رفع مستوى المسلمين:

إن الأحوال السائدة في الصين الشعبية اليوم تبشر بخير كثير. فلقد قامت الحكومة الصينية بعدد من الخطوات الإيجابية نحو رفع مستوى المسلمين من الناحية الدينية. ومن أهم هذه الخطوات ما يلي:

١ ـ إعادة فتح المساجد حيث قررت الحكومة فتح (٩٠٠) مسجد في زينجيانج بصورة تدريجية.

٢ ـ الوعد بإعادة فتح المعهد الإسلامي.

٣ ـ طباعة القرآن الكريم للمرة الثالثة منذ عام ١٩٤٩ م.

٤ ـ إعادة إصدار مجلة المسلمين في الصين.

٥ ـ السماح لبعض المسلمين بأداء فريضة الحج في مكة المكرمة.

٦ ـ المشاركة في المؤتمرات واللقاءات الإسلامية في أنحاء العالم (فمثلاً شارك بعض المسلمين الصينيين في المؤتمر الإسلامي الذي عقد في الجزائر مؤخراً).

٧ ـ السماح مرة ثانية للمسلمين بالتعطيل يومين، الأول بمناسبة عيد الفطر والثاني في عيد الأضحى المبارك.

٨ ـ السماح للمسلمين باتباع التقليد الإسلامي في ذبح الخراف وكذلك السماح لهم بدفن موتاهم بدل حرقهم.

٩ ـ شملت برامج إعادة التأهيل علماء المسلمين والمتدينين من ضحايا الثورة الثقافية.

١٠ ـ وافقت الحكومة في شهر مايو من عام ١٩٨١ على إلغاء القرار الرسمي الذي اتخذ قبل ٢٥ سنة والقاضي باستعمال الخط اللاتيني لكتابة اللغتين «الكازاخية

والأجورية» في زينجيانج والسماح بإعادة استعمال الخط العربي، مما أتاح للسكان ـ وغالبيتهم مسلمة ـ الفرصة لإعادة قراءة تاريخهم وتلاوة القرآن الكريم بطريقة صحيحة.

١١ ـ استفاد المسلمون اقتصادياً من السياسة الجديدة تجاه الأقليات. فبعض العائلات الأجورية تحقق دخلاً يصل إلى (٩٠٠) دولاراً وهو ما يعادل ثلاثة أمثال الدخل المتوسط للأسرة الصينية.

وهكذا نحس بأهمية ما يجري في الصين، وبأهمية وعظم الدور الملقى على عاتق الدول العربية والإسلامية نحو هذه البلاد، التي أقبلت نحونا وهي تمد يداً قوية للتعاون معنا، ذلك التعاون الذي سوف ينعكس أثره على حياة ومستقبل الأشقاء في الصين.

ولعل من أهم ما يمكن عمله، أن نأخذ بأيديهم في خطوات جادة من أهمها ما يلي:

أ ـ من الواجب الإسهام في طبع مزيد من نسخ القرآن الكريم وتوفيرها بصورة ميسرة. فبلد تعداده ١٢٠٠ مليون نسمة، والمسلمون فيه لا يقل عددهم عن المائة

مليون يحتاج إلى ملايين النسخ من كتاب الله وليس للمئات أو الآلاف فحسب.

إننا لا نبغي فقط أن نعلم المسلمين هناك القرآن الكريم فحسب، بل يجب أن يمتد جهدنا إلى غير المسلمين في هذا البلد المتعطش إلى الإسلام، والذي نرى أن الإسلام يحل كثيراً من مشاكله.

ب ـ لا بد من إعانتهم على إعادة تعمير مساجدهم التي تهدمت، وافتتاح مساجد جديدة، لأن ظروفهم المادية قاسية ولا تسمح في كثير من الأحيان بأي فائض عن ضرورات الحياة. كما أنه من الواجب مساعدتهم في أن يقوم المسجد بأغراض متعددة مثلما كان عليه الحال في عهد رسول الله ﷺ. وهم في أمس الحاجة إلى استخدام أوسع للمساجد، لأن قضية تعليم أبنائهم العبادات والقرآن الكريم لا يمكن أن تتم في مدارس خاصة، حيث يمنع القانون ذلك، ولا بديل إلا أن تتم عملية التعليم الديني داخل المسجد.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن الشبان والشابات في الصين يحتاجون إلى رعاية وعناية، وإلى أساليب لتأليف قلوبهم وربطهم بالمسجد حتى يألفوه ولا

ينفروا منه، ولا ينظـروا إليه على أساس أنه مكان للصلاة فقط. بل ينبغي أن نجتذبهم إلى المساجد بطرق مختلفة، فنعد لهم فيها مساحات للدرس، وأخرى للعب والتسلية المشروعة، وتـوفير بعض الكتب الثقـافية الإسـلامية وبخاصة ما يتعلق بالعقيدة، ونختار أئمة على علم وتربية وسعة أفق ليقودوا هؤلاء الشباب ويربونهم تدريجياً في المساجد وبهذا نجعل منهم دعاة للإسلام إن شاء الله على أسس من العقيدة الإسلامية السمحاء، وبأسلوب مرن يأخذ في اعتباره ظروف الناس ومتطلبات الواقع الذي هم فيه، ونكون مطبقين لأمر الله عز وجل: ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ﴾.

جـ ـ يحسن توفير عـدد من المسلمين المخلصـين والمؤهلين للذهاب إلى الصين ليكونوا مرشدين للناس يلتحمون بهم، ويعلمـونهم دينهم، ويتلون عليـهم الـقـرآن والأحاديث النبوية الشريفة، ويدربونهم على استعمال اللغة العربية كتابة وحديثاً، ويضربون لهم المثل في السلوك الإسلامي. فهم في أمس الحاجة لمثل هؤلاء وخصوصاً في هذه المرحلة بعد أن أذنت الحكومة الصينية بمثل هذا الإجراء.

د ـ لا بد من توفير منح دراسية كثيرة، وفي مستويات دراسية مختلفة، لأبناء المسلمين في الصين؛ ذلك حتى تتاح لهم فرصة الاحتكاك مرة أخرى بالعالم الإسلامي، والتزود بالعلوم الإسلامية لكي يعودوا إلى بلادهم ناشرين دعوة التوحيد على أسس عملية سديدة.

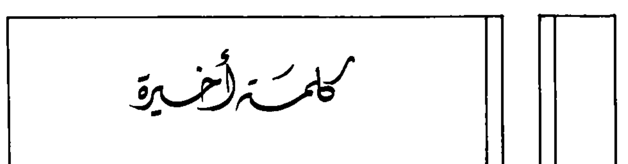
هـ ـ من المهم ربط علماء المسلمين هناك بنا، وتوجيه الدعوة لهم لزيارة مكة المكرمة والمدينة المنورة وعواصم العالم الإسلامي، وأن يعد لهم برنامج دقيق ليحتكوا مع العالم الإسلامي.. ويرتبطوا به ويأخذوا عن علمائه.

و ـ حبذا لو وفرنا لهم كميات كبيرة من تسجيلات القرآن الكريم وزودناهم بها ونشرناها بينهم بالصوت والصورة حتى تعينهم على تلاوة القرآن الكريم بطريقة صحيحة ومن ثم سماعه وتفهم معانيه.

هذه مجموعة أفكار حاولت أن أطرحها على بساط البحث، في محاولة للتفكير بصوت مسموع مع الأخوة الذين يقرأون كتابي هذا، لعلنا نتعاون نحو انفتاح من جانبنا أيضاً، لنشعر هؤلاء الأشقاء هناك بأننا معهم، وأننا نحس بإحساسهم ويهمنا أمرهم.

وأن قضية الانفتاح، وهذا الاهتمام المطلوب، يجب ألا يفهم على أنه وقف على القنوات الرسمية مثل رابطة العالم الإسلامي ومنظمة المؤتمر الإسلامي، ولا حتى على الدول الإسلامية، بل إنها مسؤولية مشتركة بين تلك القنوات والأمة الإسلامية بأسرها. ففي إمكان كل فرد أن يسهم بسهم من أسهم الخير: في التعليم.. أو الاقتصاد.. أو الدعوة.. أو مجرد تقوية الروابط مع الصينيين وإشعارهم بأننا إخوة لهم ويهمنا ما يهمهم، وأننا كالجسد الواحد وإنما نتعاون على البر والتقوى والخير والصلاح للإنسانية جمعاء.

* * *



إن الصينيين غير المسلمين معظمهم لا يدين بدين، وبخاصة بعد اندثار الأديان القديمة وطغيان الفكر الشيوعي. والناس هناك يحسون بفراغ روحي. وإقناعهم بالإسلام سهل ويسير، بل أيسر كثيراً من نشر الدعوة في ربوع بلاد تدين بالمسيحية أو غيرها، لأن المؤمن بدين عادة يتعصب له، وإقناعه بدين آخر أمر عسير يقتضي تكفيره بالدين القديم وإقناعه ومن ثم يؤمن بالدين الجديد. أما من لا دين له فالطريق ممهد إلى قلبه وعقله، وبخاصة وأن الإسلام دين الحجة والمنطق والعقل، وهو دين الفطرة.

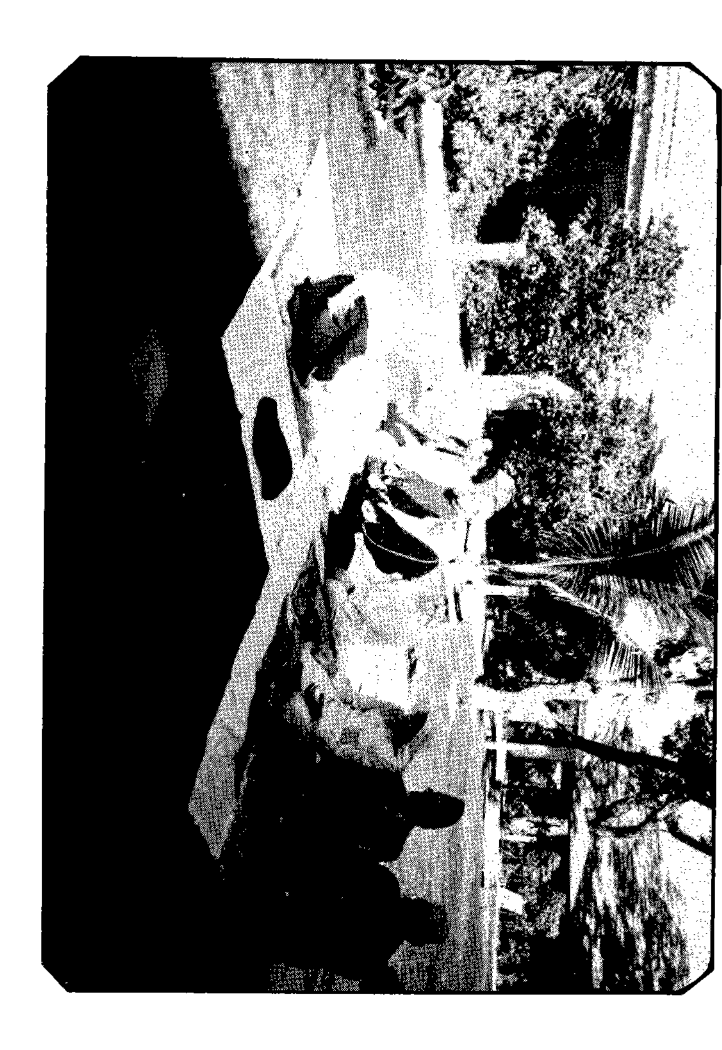
إن استعداد الناس هناك طيب. والجمعية الإسلامية الصينية تقوم بجهد كبير مشكور. ولكم فرحنا عندما دخلنا الفندق في بكين، فوجدنا في غرفنا نسخاً من القرآن الكريم وسجادة للصلاة، ورأينا في البلد مطاعم إسلامية منتشرة هنا وهناك. فالطريق ممهد أمامنا وما علينا إلا السير فيه.

هذا، ولا شك أن هؤلاء الذين حافظوا على دينهم قروناً عديدة، وتعرضوا لألوان الاضطهاد بسبب الإسلام، فإنهم لأمناء حقاً. ومن يتجول في الصين اليوم يدرك كيف صبروا وصابروا وحافظوا على دينهم وجاهدوا في سبيل إبقاء جذوة الإسلام حية تنير لهم الطريق، وحملوا الأمانة وتناقلوها جيلاً بعد جيل، وكل هدفهم إعلاء كلمة الله.

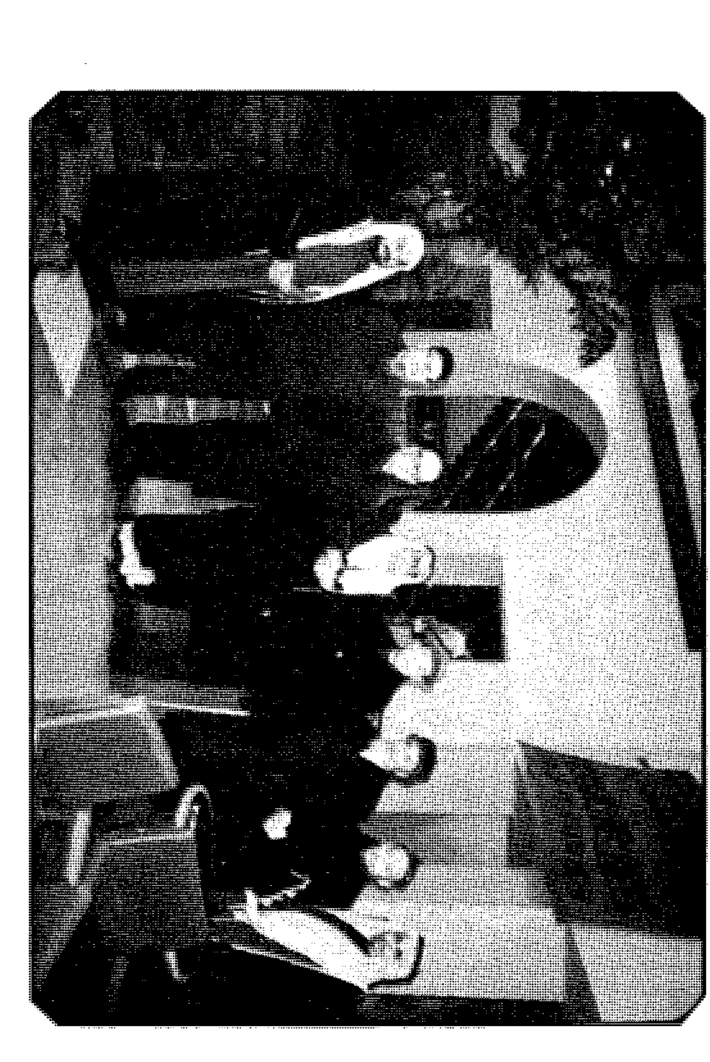
إنهم ينادون اليوم إخوانهم في الدين لكي يعينوهم على تعليم أبنائهم وإكمال المسيرة في ظل الظروف الحالية المواتية، وحتى تكون كلمة الله هي العليا ﴿ والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾.

لا أكون مغالياً إذا قلت أني متفائل بقبول دعوتي لله أن يدخل الصين في الإسلام. فبجهد معقول وتضافر بين قوى نشر الدعوة في العالم الإسلامي سيأتي إن شاء الله نصر الله والفتح، وسنرى الناس يدخلون في دين الله أفواجاً، فلنسبح بحمد ربنا ونستغفره إنه كان تواباً...

* * *



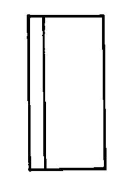












الفهرس